التأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية على الهوية الثقافية للمجتمعات العربية

د. رائـد أحمد البياتـــي*
د. عبد الله حسين بدران*

الملخص

هدفت الدراسة معرفة التأثيرات السلبية التي تحدثها العولمة الإعلامية بشتى وسائلها وأساليبها على الهوية الثقافية في المجتمعات العربية، والأخطار المترتبة عليها، واستخدمت المنهج الوصفي، وتناولت نشأة العولمة الإعلامية وخصائصها وأنواعها، ومعرفة التأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية على اللغة العربية، والتراث الثقافي العربي والموروث الشعبي، والنزعات الطائفية والمذهبية والقبلية والعشائرية، والاغتراب الثقافي والعزلة الاجتماعية، إضافةً إلى تأثير العولمة الإعلامية على الثقافة الاستهلاكية، وتوصلت الدراسة إلى أن العولمة الثقافية تمثل تحديا كبيرا للهوية الثقافية يتطلب تكاتف كافة الجهود للتوعية بمخاطره وآليات مواجهته.

◆ جامعة الشرق الأوسط
◆ الجامعة العربية المفتوحة

ABSTRACT

The current study aimed at investigating the negative effects of the media globalization with its different means and techniques on the cultural identity and the risks related in the Arab communities. The descriptive method was adopted for fulfilling the purpose the study. Many topics were addressed by the present study, namely, the origin of the media globalization, features, types, the negative effects of the media globalization on the Arabic language, the Arabic cultural heritage, the sectarian, tribal, religious conflicts, cultural alienation, social isolation and the effect of the media globalization on the consumed culture. The results of the study revealed that the cultural globalization is a great challenge for the society identity, which requires a lot of efforts to be exerted to increase the people awareness of the globalization and the means of facing such challenges.

□
□
□

المقدمة

تتسم الثقافة الإسلامية بالتفرد، حيث إنها الثقافة المستمرة على مر العصور والأزمان، فالإسلام قد أنشأ عقيدة الأمة الإسلامية وتصورها وحدد أخلاقها وحدد مسارها ومنهجها الاجتماعي والأخلاقي، وأقام لها الضوابط الأخلاقية والتشريعية وحدد لها معايير الاجتهاد والإبداع والتأليف والابتكار، والتواصل مع الآخرين والثقافات الأخرى (المخلافي، ٢٠٠٦، ٥٢).

وللثقافة الإسلامية دور كبير في تكوين الشخصية العربية، بالاستناد إلى العلم والمعرفة المستمدين من التشريع الإسلامي متمثلا في القرآن والسنة، والمصادر الأخرى للتشريع الإسلامي في جميع شئون الحياة (حسان، وعمارة، ٢٠٠٢، ١٥، ١٦).

يؤكد النهج التربوي الإسلامي المعاصر على ضرورة بناء لغة حوار ثقافي ديني فكرى يحترم المذهب الديني والعقيدة الدينية، في مختلف الثقافات، حوار يعلى قيم التسامح والتنمية والإنتاج والتقدم ويبرز الهوية العربية الإسلامية في صورة متحضرة ومتسامية، وتدشن مقولة الإسلام دين صالح لكل الأزمان والعصور، فالإسلام دين لا يرتبط بوطن وإنما يتعلق بالأمة وتكريس مبدأ الأخوة الإنسانية من أجل مواجهة المصير الواحد للبشرية (عبد الغني، ١٩٩٩، ٣١٤، ٣١٥).

ومع انتشار وسائل الإعلام بصورة مذهلة في كل بيت وعربة وركن وزاوية، وانتقال مضمونها ومحتوياتها في الآونة الأخيرة مع الإنسان أينما حل وذهب عبر وجودها على الهواتف النقالة الذكية والأجهزة الحاسوبية المحمولة، صارت تلك الوسائل أحد المؤثرات القوية في حياة الأمم والمجتمعات، وفي تغيير الأفكار والمعتقدات، وتوجيه الرأي العام نحو القضايا التي تركز عليها وتدعو بشدة إلى تبنيها، وإذا كانت العقود السابقة في القرنين التاسع عشر والعشرين قد شكلت المنطلقات الأساسية للثورات التكنولوجية والمعرفية والعلمية، فإن الملمح الأساسي للقرن الحادي والعشرين، يتجسد في ثورة هائلة في وسائل الإعلام الحديث، وبصورة خاصة الإنترنت وتطبيقاتها المتنوعة، ولاسيما شبكات التواصل الاجتماعي التي جمعت كل الخصائص التي تستقطب الجمهور، من صوت وصورة ومؤثرات وإمكان التعليق والتصوير والتوزيع إلى الآخرين، إضافة إلى رخصها وتوافرها وسهولة استخدامها.

وقد تطور الإعلام مع التطورات الحديثة، ولاسيما في دور الجمهور وانتقاله من مستقبل ومتلق جامد وهامد إلى مستقبل ديناميكي وفعال، وصولا إلى كونه مرسلا وصانعا للحدث أيضا. وتغير نموذج الرسالة الإعلامية من نموذج تقليدي يعتمد على بعض الخصائص المتعارف عليها في علم الإعلام إلى رسالة ذات مميزات حديثة، فصار القائمون عليها يستعينون بالمؤثرات الفنية والشكلية المتميزة التي تجذب الانتباه إليها، وتجعلها لافتة ومشوقة.

والناظر إلى الواقع الحالي يجد أن العولمة دخلت كل ناحية ومجال، وتغلغلت في كل اختصاص وميدان، وصارت أمرا واقعا لا يمكن إنكاره أو جحوده، وتعددت أنواعها وتأثيراتها، كالعولمة التربوية، والاقتصادية، والإعلامية، وما تمثله العولمة الإعلامية من انتشار فكر وثقافة موحدة بين المجتمعات في دول العالم، وتعزيز للنمط الاستهلاكي أو الفكر الاغترابي، أو النزعات الطائفية، أو تهديد للغة، بات يمثل خطرا كبيرا على الثقافة والقيم في تلك المجتمعات، وبخاصة النامية، ومنها المجتمعات العربية، التي باتت تتأثر بصورة بالغة بتلك العولمة، ولاسيما بآثارها على الهوية الثقافية العربية.

وتعمد الغازي والمستعمر على مر العصور تدمير التراث الثقافي للبلد المهزوم، لعزل الشعوب المستعمرة عن ماضيها وعن ارتباطها بالأرض وعن انتمائها وهويتها الوطنية، وحتى يحدث

الاتزان وينتصر المهزوم كان لابد للشعوب المستعمرة من استمداد قوتها من تراثها الثقافي والتمسك به بل والدفاع عنه حتى بالدم وبالروح (عليان، ٢٠٠٥، ١٧٧).

إن العولمة الإعلامية التي تنتشر بسرعة هائلة شرقا وغربا ربما تشكل تهديداً للازدواجية الثقافية، وعدوانا على الهويات الثقافية للشعوب المختلفة وحقها في استخدام تكنولوجيا الاتصال وفي تأكيد هويتها الثقافية والتفاعل بروح إيجابية مع أوضاع تلك العولمة، خصوصا في أجواء لا توحي بكثير من الثقة بالآخر الثقافي ولا بحرصه على بنائنا الثقافي أو حتى التعليمي.

ومن ثم كان الاهتمام بالرصيد الثقافي وتطويره وتجديده محوراً هاماً من محاور التنمية الشاملة، وأداة من أدوات تواصلها، ويقتضي الأمر الحفاظ على الثوابت الثقافية في معارفها واتجاهاتها وتوظيفاتها الاجتماعية باعتبارها الممثلة لجوهر الهوية والذاتية والتميز، وهذا ما يعنيه مفهوم الأصالة الثقافية (خشبة، ٢٠٠٦، ٧١).

وعلى العموم فإن تأكيد الهوية الثقافية يعني السعي إلى التمييز والإدراك للاعتراف. وهذا هو السبب في أن الهوية الثقافية جدلية حية للشخص نفسه وللآخر، حيث يكون الشخص نفسه هو ذاته وهو أيضا متفتح على الآخر. ولذا فمشكلة الهوية وأزمة الهوية من أهم المشكلات في المجتمعات المتغيرة في بلدان العالم الثالث. فالصراع الذي يسببه تأثير الأفكار الغربية والتكنولوجيا على العالم العربي الإسلامي واضح وحاد (عبد الرحمن، ٢٠٠٦، ٣).

أولا- مشكلة الدراسة

تواجه الهوية الثقافية في المجتمعات العربية والإسلامية تحديات كبيرة، مما يجعلها أكثر عرضه للتغيير أو إعادة التشكيل أو حتى التطوير للتكيف مع الحاضر. وحيث أن الهوية يمكن التعبير عنها من خلال الدين أو اللغة أو الدولة الوطنية أو العادات أو التقاليد المجتمعية، كل هذه الخصائص متغيرة حسب طريقها استخدامها وتوظيفها(عبد الرحمن، ٢٠٠٦، ٤)

كما تشير مظاهر معاصرة عدة إلى أن الثقافة العربية باتت ثقافة استسلام بدلاً من أن تكون ثقافة للسلام (الحسن، ٢٠٠٥، ١٢٨)، وأصبح حال الأمة العربية يتسم بالتردي والثبات العميق، بعد أن كانت الحضارة العربية منبع الثقافة والعلم والفن والأدب، وهى الفاعل الرئيسي في العصور الوسطى والحديثة، صارت الآن نائباً للفاعل، وأفسحت الطريق لإحلال ثقافات مغايرة ومتباينة لا لتشاركها في ريادة الأمة العربية، بل لتساهم في انقلاب الأمة على الثقافة القديمة وإحلال الثقافات الغربية الجديدة مكانها في الريادة والإدارة ونقل المعرفة والعادات والأخلاقيات (مصطفى، ٢٠٠٧، ٨).

وأشارت دراسة الزيود (٢٠٠٨) إلى أن العولمة تمثل تحدياً حقيقياً للثقافة والهوية الثقافية العربية، كما أشارت دراسة (ملي، ٢٠١٠) إلى أن عولمة الإعلام ظاهرة موضوعية تشكلت ضمن السياق التاريخي لظهور العولمة وتطورها.

ويفرض التحدي الذي نعيشه اليوم علي أمتنا وشعوبنا بلورة رؤية خاصة نستطيع من خلالها أن نحقق طرفي المعادلة وهما: كيفية الحفاظ علي هويتنا العربية من ناحية، وكيفية الانفتاح في نفس الوقت علي العالم من حولنا لنستفيد من ثمرات المعرفة الإنسانية دون أن نغامر بفقد هويتنا. وهذا الوضع هو ما قد يكون عليه حال شبابنا وطلابنا، إذ هم أكثر فئة في المجتمع تتعرض للتقنيات الحديثة وللغزو الثقافي بوسائله المختلفة، مما قد يؤثر على هويتهم وقيمهم في إطار عدم التوازن بين ما هو أصيل ومدرك بوعي وبين ما هو عصري ومدرك بشكل انبهاري، فقد أكد أكثر من (٦٠) باحثًا ومفكرًا شاركوا في ندوة العولمة وأولويات التربية (المنعقدة في جامعة الملك سعود عام ١٤٢٥هـ على أن العولمة هي التحدي

الأساس والأهم للأنظمة التعليمية في العالم وخاصة الأنظمة التعليمية في العالم العربي والإسلامي (سالم، ١٤٢٥هـ).

وأصبحت العولمة الإعلامية واقعا ملموسا يجب التعامل معه بموضوعية ومنطقية، فلا التهرب منها والابتعاد عنها والنأي بأنفسنا عن تبعاتها أمر مجد أو مفيد، ولا التوغل الشديد فيها والانغماس الكلي في مضمونها والذوبان في مكنوناتها أمر نافع ومثمر أيضا، حيث تؤدي العولمة الإعلامية بأشكال الروابط الاجتماعية المحلية الوطنية، والعلاقات بين أبنائها إلى الاضمحلال، وذوبان المجتمعات ضمن بوتقة معينة تفرضها القوى الكبرى التي تسيطر على تلك العولمة، وتستهدف أيضا الهوية الثقافية العربية، عبر تمظهرات عدة تتبين بعضها في اللغة العربية، والنزعات الطائفية والمذهبية، والاغتراب الاجتماعي، والثقافة الاستهلاكية.

ومن ذلك كله تتضح مشكلة البحث التي تتمثل في معرفة التأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية على الهوية الثقافية للمجتمعات في الدول العربية.

ثانياً – تساؤلات الدراسة

ثمة تساؤلات رئيسية تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها، وهي:

١. ما التأثير السلبي للعولمة الإعلامية على اللغة العربية؟
٢. ما التأثير السلبي للعولمة الإعلامية على التراث الثقافي والتقاليد المتوارثة في المجتمعات العربية؟
٣. ما التأثير السلبي للعولمة الإعلامية على النزعات الطائفية والمذهبية والقبلية والعشائرية؟
٤. ما التأثير السلبي للعولمة الإعلامية على الاغتراب الثقافي والعزلة الاجتماعية؟
٥. ما التأثير السلبي الذي تحدثه العولمة الإعلامية على الثقافة الاستهلاكية في المجتمعات العربية؟

ثالثاً – أهداف الدراسة

تستهدف الدراسة التعرف على الأمور الآتية:

١) بيان التأثير السلبي للعولمة الإعلامية على اللغة العربية.
٢) الكشف عن التأثير السلبي للعولمة الإعلامية على التراث الثقافي والتقاليد المتوارثة في المجتمعات العربية.
٣) تحديد التأثير السلبي للعولمة الإعلامية على النزعات الطائفية والمذهبية والقبلية والعشائرية.
٤) التعرف على التأثير السلبي للعولمة الإعلامية على الاغتراب الثقافي والعزلة الاجتماعية.
٥) بيان التأثير السلبي الذي تحدثه العولمة الإعلامية على الثقافة الاستهلاكية في المجتمعات العربية.

رابعاً – أهمية الدراسة: تنبع أهمية الدراسة من عدة اعتبارات منها:

- معرفة التأثيرات السلبية التي تحدثها العولمة الإعلامية بشتى وسائلها وأساليبها على الهوية الثقافية في المجتمعات العربية، والأخطار المترتبة عليها سواء على اللغة العربية أو العادات والتقاليد أو القيم الأخلاقية أو الثقافة الاستهلاكية أو العصبيات القبلية والطائفية أو العنف والإرهاب وغيرها من مكونات الثقافة العربية.
- تأتي استجابة لما ينادي به كثير من التربويين والمفكرين من ضرورة الحفاظ على الهوية الثقافية للأمة الإسلامية والعربية في عصر العولمة والانفتاح على ثقافات العالم، والتأكيد على غرس القيم والمبادئ الثقافية التي يتضمنها تراثنا.
- يمكن أن تفيد المسئولين بالمجال التعليمي من خلال معرفة أبرز تحديات العولمة الثقافية وبالتالي وضع الآليات الملائمة لمواجهتها ضمن المناهج الدراسية.
- يمكن أن تفيد أولياء الأمور من خلال معرفة أبرز تحديات العولمة الثقافية والمخاطر المترتبة عليها وبالتالي تدريب وتربية أبنائهم على كيفية مواجهتها والتعامل معها.
- يمكن أن تفتح المجال أمام الباحثين لدراسات أخرى مرتبطة بنفس المجال.

خامسا- منهج الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي الذي يقوم على دراسة ظاهرة ما من حيث نشأتها ونموها وتحليلها، مع دراسة العلاقة القائمة بينها وبين ما يتصل بها من ظواهر. ويهدف إلى وصف الظاهرة محل الدراسة وتشخيصها وتحليل بياناتها وتفسيرها بصورة سردية ومنطقية، وتسليط الضوء على مختلف جوانبها، وجمع البيانات اللازمة عنها مع فهمها وتحليلها من أجل الوصول إلى المبادئ والقوانين المتصلة بها (النعيمي وآخرون، ٢٠٠٩، ٢٧٣).

مصطلحات الدراسة

الهوية: هوية الشيء تعنى عينيته وتعنى أيضاً وحدة الذات بالنسبة للإنسان، وهوية الشيء تعنى ثوابته التي تتجدد وتتغير وتفصح عن ذاتها دون أن تخلى مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة، إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره، وتتجدد فاعليتها ومكانتها دون أن تتغير أو تطمس معالمها (علي، ٢٠٠٥، ٢٣، ٢٤).

الثقافة: هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في مجتمع" (علي، ٢٠٠١، ١٢٦) وهناك من يربط بين الثقافة وبين وظيفتها وفعلها داخل المجتمع، و من بين هذه التعريفات: "الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يعنى المساهمة والمشاركة في أنشطة المجتمع، وإنتاج المشروعات وإدارتها في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية" (محمد، ٢٠٠١، ٨٧).

الهوية الثقافية: تعرف بأنها حضارة وعقيدة وعادات وتقاليد وقيم المجتمع الأخلاقية وفنونه وآدابه وعلومه (الشيبني، ٢٠٠٠، ٣٢). كما تعرف بأنها التفرد الثقافي بكل ما تضمنه معنى الثقافة من عادات، وتقاليد، وقيم، ومعتقدات، ولغة، ودين لدى طلاب الجامعات الخاصة والتي تتشكل لديهم أثناء عملية التطبيع الاجتماعي على المستوى الفردي والاجتماعي (عبد الرحمن، ٢٠٠٦، ١١).

ويمكن تعريف الهوية الثقافية إجرائياً بأنها: جملة الخبرات الاجتماعية، والحكمة الأخلاقية والدينية، والاتفاقات الأيديولوجية النظرية التي يصوغها مجتمع ما، بحيث تصبح تلك الخبرات والاتفاقات النظرية قوانين مُلزمة، ومحكات أساسية، ليس من اليسير اختراقها أو العبث بها أو محاولة تغييرها، إلا من أجل تطويرها والارتقاء بها فحسب والإضافة إليها، وليس طمسها أو محوها أو إزالتها وسلبها

سادسا - الدراسات السابقة

ثمة عدد من الدراسات العربية والأجنبية تطرقت إلى جوانب قريبة من موضوع الدراسة، منها:

١. الدراسات العربية

- دراسة جيدوري (٢٠١٢). دواعي تمكين الشباب الجامعي من مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية. هدفت الدراسة إلى نشر الوعي لدى طلبة جامعة طيبة السعودية بالتأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية، ومعرفة الاختلاف في وجهات نظر أعضاء هيئة التدريس نحو دواعي تمكين الشباب الجامعي من مواجهة هذه التأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية. و صمم الباحث استبانة تكونت من (١٨) فقرة، وزعت على أربعة أبعاد. و تكون المجتمع الأصلي للدراسة من جميع أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية والمجتمع والعلوم وهندسة الحاسبات، واختبرت منهم عينة عشوائية. وأظهرت نتائج الدراسة موافقة أعضاء هيئة التدريس بدرجة كبيرة على جميع دواعي تمكين الشباب الجامعي من مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية، كما أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث تُعزى إلى متغيرات الدراسة.

- دراسة الزيود (٢٠٠٨). تأثير العولمة على الثقافة العربية. استهدفت الدراسة التعرف إلى تأثير العولمة على الثقافة العربية باتباع المنهج التحليلي القائم على تحليل الأدب والدراسات النظرية لموضوع العولمة والثقافة والمجتمع العربي. وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن العولمة تمثل تحديا حقيقيا للثقافة والهوية الثقافية العربية، عن طريق انتشار الكثير من المظاهر المادية والمعنوية التي لا ترتبط بالثقافة والهوية الثقافية العربية لدى كثير من أبناء الشعب العربي، إضافة إلى أن العولمة أدّت إلى صبغ الثقافة العربية بالثقافة الاستهلاكية، وإلى تعميم استخدام اللغة الانجليزية على حساب اللغة العربية من خلال ازدياد استعمال اللغة الإنجليزية في الأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام والتأليف، وإلى تحوّل الثقافة العربية إلى ثقافة مضمونها تفضيل الكسب والإيقاع السريع والتسلية الوقتية وإدخال السرور على النفس وملذات الحس وإثارة الغرائز، مما أدّى إلى تراجع دور الأسرة، وتفكك بنيتها، وفقدان الأسرة لقدرتها على الاستمرار كمرجعية قيمية وأخلاقية للناشئة.

- دراسة ملي (٢٠١٠). التداعيات الإقصائية المتصاعدة لعولمة الإعلام وأثرها على الهوية الثقافية. استهدفت الدراسة دراسة أبعاد عولمة الإعلام ونتائجها، والتحدي الذي تشكله هذه العملية فيما يخص الهوية الثقافية العربية، والسبل الممكن سلوكها لمواجهة ذلك التحدي. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي كإطار منهجي عام، والطريقة التاريخية والطريقة المقارنة كآليات منهجية متممة.

ومن نتائج الدراسة أن الصراع الأشد في عصر العولمة الإعلامية سيكون صراعاً ثقافياً أو – حرباً باردة ثقافية – إذا صح التعبير، وأن التأثير الطاغي لوسائل الإعلام في الفرد ومن ثم في المجتمع سيترك تأثيره في ثقافة هذا المجتمع وفي أنماط سلوك أفراده. وأن القرية الكونية هي مفهوم افتراضي لم ولن يتحقق، والأقرب إلى الدقة هو وجود مدينة كونية متعددة الثقافات تعاني من الانقسام على الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتكنولوجية والإعلامية .. إلخ، وأن عولمة الإعلام ظاهرة موضوعية تشكلت ضمن السياق التاريخي لظهور العولمة وتطورها، وليست مؤامرة تستهدف العرب والمسلمين، لذلك لا خيار أمامنا برفضها أو قبولها، وأن خطاب الإعلام المعولم لا يلتفت إلى المسؤولية في حرية الإعلام على المستوى الدولي مثل الالتزام بالقيم الأخلاقية، ونبذ التعصب، ومحاربة الأخبار الكاذبة والدعاية المغرضة.. إلخ.

- دراسة كنعان (٢٠٠٨). الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة. استهدفت الدراسة تحديد مشكلات الشباب المعاصرة وبيان أسبابها، والوقوف عند نظرة الشباب الجامعي نحو مفهوم الهوية الثقافية، وبيان أثر العولمة في الشباب الجامعي، وتحديد الرؤية المستقبلية لدى الشباب الجامعي. واستخدمت تلك الدراسة الوصفية منهج المسح من خلال استبانة وزعت على طلبة جامعة دمشق وتضمنت ثلاثة محاور ركزت على معرفة اتجاهات الشباب الجامعي نحو مفهوم الهوية الثقافية، والعولمة، والمشكلات التي يعاني منها الشباب الجامعي وسبل مواجهتها، وأخيراً نظرة الشباب الجامعي إلى المستقبل. وخلصت الدراسة إلى عدد من المقترحات منها الاهتمام بالشباب ورعايتهم وتزويدهم بمستجدات العصر ومتغيراته وتقاناته، مع ضرورة المحافظة على الهوية الثقافية وتراث الأمة وقيمها العربية الأصيلة، والتركيز في المناهج الجامعية وما قبلها على أثر العولمة في الهوية الثقافية وخطرها على تقانات الشعوب وقومياتهم، و ربط الجامعة بالمجتمع والتأكيد في خطط التنمية على استيعاب جميع الأطر والكفاءات التي تخرجها الجامعة والإفادة منها، وذلك لمواجهة أهم المشكلات التي يعاني منها الشباب الجامعي المتعلقة بالمهنة والظروف الاقتصادية والسيئة، إجراء دراسات علمية جادة وبناءة لإيجاد السبل الكفيلة في إشراك الشباب واستثمار طاقاتهم في عمليتي التطوير والتحديث على المستويين القطري والعربي، والاستفادة من معطيات الحضارة وثورة المعلوماتية في القرن الحادي والعشرين.

- دراسة الشرقاوي (٢٠٠٤). الهوية الثقافية لطلاب كلية التربية في ضوء التحديات المعاصرة. استهدفت الدراسة تحديد معالم الهوية الثقافية لدى طلاب كلية التربية في ضوء التحديات الثقافية للعولمة والتطورات الاجتماعية والاقتصادية فيما بعد الحداثة والعولمة، وتقصي دور كليات التربية في تأصيل الهوية الثقافية وتعزيز المواطنة بين طلابها وروادها. واستخدمت تلك الدراسة الوصفية أداة الاستبانة للتعرف على آراء عينة من الطلبة حيال الهوية الثقافية. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها: ضعف تأثير الجامعة في تشكيل الهوية الثقافية لدى طلابها، وقصور الجامعة والتعليم الجامعي بصورة عامة في مواجهة تحديات العولمة الثقافية والانفتاح الاقتصادي والثورة المعلوماتية، وتراجع الشعور بالهوية الوطنية وقيم المواطنة لدى الطلاب في ظل التحديات الكبرى للعولمة الثقافية، ونقص البرامج التربوية التي تعزز قيم المواطنة والانتماء الوطني لدى الطلاب بكلية التربية.

- دراسة الحسين (٢٠٠١). اتجاهات طلبة جامعة دمشق نحو مفهوم العولمة وانعكاساتها على الهوية الثقافية. استهدفت الدراسة التعرف على اتجاهات طلبة جامعة دمشق نحو مفهوم العولمة وانعكاساتها على الهوية الثقافية. وصيغت مشكلة الدراسة من سؤالين هما: ما اتجاهات طلبة الجامعة نحو مفهوم العولمة؟ وما اتجاهات طلبة الجامعة نحو مفهوم الهوية الثقافية؟ وتشكلت عينة البحث في تلك الدراسة الوصفية من طلاب الدراسات العليا في كلية التربية بجامعة دمشق. ومن أهم نتائج الدراسة: أن لدى الطلاب وعيا بالهوية الثقافية متأصلا في نفوسهم، وأن العولمة تعطي الهوية الثقافية فرصة للانفتاح والتعرف والتفاعل مع مستجدات العلم والمعرفة، وأن العولمة تعطي فرصة لإعادة الديمقراطية لمجتمعاتها ولتجديد الهوية الثقافية لذاتها وإبداع أفرادها، أما التأثير السلبي للعولمة في الهوية الثقافية فقد تمثل برأي الشباب في وسائل الإعلام وتقنيات الاتصال من خلال تسطيح البرامج الإعلامية والثقافية.

- دراسة مجاهد (٢٠٠١). مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها. استهدفت الدراسة التعرف على أخطار العولمة والتحديات الثقافية التي تهدد من خلالها الهوية الثقافية للمجتمع والدور المنوط بالتربية في مواجهتها. ومن أهم نتائج الدراسة أن العولمة تؤدي إلى تفكك الهوية الوطنية وإضعاف الشعور بالمواطنة الحقيقية، وأن العولمة تؤدي إلى إضعاف اللغة العربية وتراجعها وانحسارها كلغة وطنية وحضارية، وأن العولمة تؤدي إلى تأجيج الصراعات المذهبية والطائفية والعرقية وانتشار العنف والعدوانية في المجتمع، وضرورة بناء أنساق قيمية وطنية وتعزيز ركائزها في مواجهة العولمة بوصفها تحديا ثقافيا خطرا على الهوية الوطنية والوجود القومي للبلدان العربية الإسلامية.

٢. الدراسات الأجنبية

- دراسة ريمرز (Reimers, 2010). المواطنة والهوية والتعليم في مواجهة تحديات العولمة. استهدفت الدراسة تحديد دور المؤسسات التعليمية في وضع المواطنة في القرن الحادي والعشرين موضع التنفيذ، مع التركيز على الجنسية والمواطنة في مواجهة تحديات العولمة. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج منها، التأكيد على ضرورة بذل الجهود من أجل توظيف الإعلام التربوي في المؤسسات التعليمية لمواجه تحديات العولمة، والعمل على دمج التربية على المواطنة في المواد الدراسية كافة باعتبارها مدخلا ضروريا للمحافظة على الهوية والخصوصية الثقافية للشعوب.

- **دراسة بريان ميشيل (Bryan, Michael T.2004)** استهدفت الدراسة العلاقة بين الهوية الثقافية والكفاءة الذاتية الأكاديمية ومعدلات الدرجات الصفية (GPA) كمقياس للنجاح الأكاديمي لدى طلاب المدارس الثانوية من الهنود الـ (Navajo)، وقد استخدمت الدراسة مقياس الهوية الثقافية لـ (Navajo) (MCIM) ومقياس الذات في المدرسة وهو مقياس للكفاءة الذاتية الأكاديمية ومعدلات الدرجات الصفية التراكمية (GPA) وقد طبقت المقاييس على عينة مكونة من (٢٢٩) طالباً وطالبة الـ(Navajo) تتراوح أعمارهم ما بين (٩ إلى ١٢) سنة من مدرسة ثانوية عامة في أطراف المدينة، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: لا توجد علاقة بين الهوية الثقافية ومعدلات الدرجات الصفية، توجد علاقة بين الهوية الثقافية والكفاءة الذاتية الأكاديمية في مجال الأسرة، توجد

علاقة قوية بين الكفاءة الذاتية الأكاديمية ومعدلات الدرجات الصفية، يمتلك المواطنون الأمريكيون الأصليون ميراثا ثقافيا قويا جدا وهوية متفردة عن غيرها.

- **دراسة ميشام (٢٠٠٤م Meacham, Sarah Suttner)** استهدفت الدراسة إنتاج الهوية الاجتماعية . الثقافية وبناء القوة بعيدا عن الاتصال اللغوي والتعرف على كيف أن ممارسات تعلم اللغة تؤدى إلى تكوين مجالين مختلفين من المسؤولية المؤسسة ومن ثم مواقف مختلفة بالنسبة للهوية القومية اليابانية والأيدلوجيات المختلفة عند نقطة الاتصال اللغوي. وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على التفاعل والمشاركة في نشاط تعلم اللغة الأجنبية كطريقة لبناء قوة اجتماعية ثقافية لدى الطلاب وطبقت الدراسة على مدرستين ثانويتين عامتين في طوكيو باليابان إحداهما مدرسة ثانوية للفنون الحرة والثانية مدرسة ثانوية فنية للمجالات الفنية الفرعية مثل الكيمياء والصناعية والهندسية الكهربائية، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: التفاعل أثناء دروس اللغة الإنجليزية للطلاب يشكل إطارا وجدانيا يتحمل فيه الطلاب المسؤولية، التنظيم المختلف للمسئولية يعد أمرا جوهريا لتداخل اللغات في اليابان وفى المدارس الثانوية للفنون الحرة.

- **دراسة شن (٢٠٠٤م Chen, Hsuan-JEN)** استهدفت الدراسة التعرف على وضع مفهوم للهوية الثقافية الآسيوية الأمريكية وبيان العلاقات بين القوى الاجتماعية والمنهج من خلال مستويات مختلفة والكشف عن العلاقات بين المدرسة والهوية الثقافية واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: إن وضع الأمريكيين الآسيويين كجماعة عرقية تابعة وتربيتهم الأسرية المميزة تجعلهم يشعرون بأنهم مختلفون عن بقية الجماعات السائدة في المجتمع الأمريكي، إن ردود أفعال الأمريكيين الآسيويين نحو موطن أسلافهم تتنوع بناءً على ألفتهم بثقافتهم الوطنية / العرقية، كلما زادت ألفة الأمريكيين الآسيويين بثقافتهم العرقية كلما امتزجوا ببيئة موطن أسلافهم، وكلما قوى توجههم نحو الثنائية الثقافية، إن سوء تقييم الثقافات العرقية يؤدى إلى صعوبات بالنسبة للجماعات الثانوية فى تقوية هويتهم الثقافية الإيجابية.

- دراسة لاي (Lie, ٢٠٠١). متطلبات الانتماء والمواطنة والهوية والتباين الثقافي. استهدفت الدراسة التعرف إلى أزمة الهوية التي يعانيها الطلاب المهاجرون إلى أمريكا، ونسق العلاقات العنصرية والعرقية القائمة بين صفوف الطلاب المهاجرين من أصول عرقية مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن أهم نتائج تلك الدراسة الوصفية النوعية أن هنالك طرقا واستراتيجيات يتبناها الطلاب المهاجرون للحصول على الاعتراف بهوياتهم ووجودهم، وأن الطلاب الأجانب المقيمين في أمريكا يعانون من التمييز العنصري ويواجهون أزمة هوية تتميز بالعمق والشمول، وأنهم يحملون نسقا متناقضا من الولاءات والانتماءات التي تصدر عن تنوع الوجود وتباين الثقافات الأصلية لهذه الفئة من المهاجرين السود والمهاجرين الآسيويين.

يتبين من خلال الدراسات السابقة أن هناك اتفاقا في المنهج بين هذه الدراسة وعدد من تلك الدراسات كدراسة (ملي، ٢٠١٠) و(الزيود، ٢٠١٠)، باعتبار أن هذه الدراسة تعتمد على المنهج الوصفي. كما يتبين أن هناك اتفاقا بينها وبين عدد منها في الأهداف المنشودة منها لاسيما الدراسات العربية التي تطرقت إلى العولمة الإعلامية بصورة مباشرة وتأثيرها على الهوية الثقافية من دون أن تركز على الدور المنوط بالعملية التربوية أو التحديات التي تفرضها عولمة التربية.

وهناك اختلاف بين هذه الدراسة وعدد من الدراسات في بعض الأهداف المنشودة، وهو ما أدى بالتالي إلى اختلاف في النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسة عن الدراسات المقارنة.

وتتميز هذه الدراسة بالتركيز على التأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية على الهوية الثقافية العربية، من خلال التطرق إلى عدد من المظاهر الرئيسية التي يتبدى فيها ذلك التأثير، من دون أن تتطرق إلى مجالات أخرى تتعرض لتأثيرات العولمة وأخطارها بصورة عامة.

الإطار المفاهيمي للدراسة

أولا -مفهوم العولمة الإعلامية

١- العولمة في اللغة والاصطلاح

يعد مفهوم العولمة من أكثر المفاهيم انتشارا واستهلاكا في مجالي الثقافة والفكر. ويعود هذا الانتشار الكبير، إلى المرونة الهائلة لهذا المفهوم في التعبير عن أخطر مراحل تطور الإنسانية، في مختلف مستويات الوجود والحياة الحضارية المعاصرة. وإن ما تمثله العولمة من انتشار فكر وثقافة موحدة بين مجتمعات العالم يمثل تهديدا للثقافة والقيم في جميع المجتمعات.

ومن أهم الفئات المستهدفة من تأثيرات العولمة هم الشباب باعتبارهم يتطلعون إلى كل جديد ويسعون إلى التمرد على الموروثات، إضافة إلى أنهم الفئة النشيطة التي ستتولى قيادة مجتمعاتها، وبالتالي يحرص الغرب على تكريس التبعية لهم في نفوس الشباب وإكسابهم أفكارا وسلوكيات لا تنسجم مع المجتمعات العربية (الأحمد، ٢٠١٠، ١٨٥).

إن الهروب من العولمة إلى الأمام يؤدي إلى الذوبان والضياع، والهروب إلى الخلف والتمترس في الظلام يؤدي إلى التجمد والجمود والانغلاق والضياع. فالعولمة أشبه بنار متأججة إن اقتربت منها أكثر مما يجب ذبت فيها وتلاشيت في غمراتها، وإن ابتعدت أكثر تهت وتجمدت في برد الظلام؛ وهذا يعني أن على المجتمعات العربية الكشف عن طريقة تمكنهم من تحديد المسافة الفاصلة التي تمكن من الحصول على دفء العولمة دون الذوبان فيها أو التجمد من غيرها. وهذا يكون بابتكار أساليب حضارية جديدة، وإحياء القيم العقلانية والموضوعية وتحرير المجتمع من أسر الثقافة التقليدية التي تعتمد على قيم التواكل والاستسلام والشعوذة والتعصب (وطفة، ٢٠١٣، ٦٩).

أ- العولمة في اللغة

العولمة ثلاثي مزيد، يقال: عولمة على وزن قولبة، وكلمة "العولمة" نسبة إلى العَالم -بفتح العين- أي الكون، وليس إلى العِلم. والعالم جمع لا مفرد له، وهو مشتق من العلامة، أو من العلم. فالعولمة كالرباعي في الشكل فهو يشبه (دحرجة) المصدر، لكن (دحرجة) رباعي منقول، أمّا (عولمة) فرباعي مخترع. وهذه الكلمة لم ترد في كلام العرب، والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى ومعناها: وضع الشيء على مستوى العالم (الرقب، ٢٠٠٨).

والعولمة مصطلحٌ سليمٌ من النَّحت والتَّركيب. وتعني جعل الشَّيء مادَّةِ العولمة عالميًّا أَو على مستوى العالم (أحمد، ٢٠٠٠).

ب- العولمة في الاصطلاح

تعددت مناهج الباحثين في تعريف العولمة، فبعضهم ركز على أبعادها وتجلياتها المختلفة، وبعضهم ركز على جانب دون آخر، وبعضهم آثر أن يقدم تعريفا صوريًا جامعًا. وعدم الاتفاق بين الباحثين حول أصل نشأة العولمة رافقه عدم اتفاق بينهم حول تعريف العولمة لاختلاف زوايا النظر إليها.

ومن أهم تعريفات العولمة

- هي العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع، وهي أيضا أيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته ؛ أي محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية (الجابري، ١٩٩٨، ١٣٧).
- هي الانفتاح على العالم بكل جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والذي أخذ يتحول نحو هيمنة القطب الواحد عليه (كنعان، ٢٠٠٨)
- هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومجموعة القيم والعادات السائدة، وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث، وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والتي تزعم أنها سيدة الكون، وحامية النظام العالمي الجديد (الرقب، ٢٠٠٨).

٢- الإعلام في اللغة والاصطلاح

أ- الإعلام في اللغة

يكاد اللغويون يجمعون على أن القصد من الإعلام في اللغة هو "إيصال أحد الأطراف علماً، أو خبرا إلى الطرف الآخر، فالإعلام مصدر من الثلاثي المزيد، والعلم مصدر من الثلاثي المجرد، والفعل منه أعلم، ومغاير لفعل تعلم، وفعل تعلم لا يحتاج إلى الطرف الآخر، وفعل أعلم يتطلب طرفين: الأول هو وسيلة الإعلام والتوصيل والمؤثر، والطرف الثاني عبارة عن الناس المتأثرين بهذه الوسائل، والمادة التي تصل من الطرف الأول إلى الثاني هي المادة الإعلامية".(إبلاغ: ٢٠٠٠، ١٢)

ب- الإعلام في الاصطلاح

هنالك عدد من التعريفات للإعلام، منها

- تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات الصحيحة والحقائق الثابتة التي تساعد الناس على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات (حمزة: د ت، ١٠٥).
- عملية دينامية تهدف إلى توعية، وتثقيف، وتعليم، وإقناع مختلف فئات الجماهير التي تستقبل مواده المختلفة، وتتابع برامجه وفقراته، ويجب أن يكون هناك فكرة محدودة تدور حول معنى معين يهدف مرسلها إلى توصيلها إلى تلك الجماهير(خضر، ١٩٨٧، ١٢).
- عملية يترتب عليها نشر الأخبار والمعلومات الدقيقة التي ترتكز على الصدق، والصراحة، ومخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم السامية، والارتقاء بمستوى الرأي(خضر، ١٩٨٧، ١٣).

٣. العولمة الإعلامية

لعل من أخطر النتائج المترتبة على العولمة، ودخول وسائل الإعلام على الخط الداعم لها، تلك المتصلة بأخطار الاقتلاع الثقافي لأفراد المجتمع من ماضيهم وجذورهم، والخوف من فقدان الهوية وذوبانها لديهم، والتأثيرات السلبية الاجتماعية والأخلاقية المتعددة.

ويرى الباحثون الذين تحدثوا عن نشأة العولمة أنها عملية تراكمية، فهناك عولمات صغيرة سبقت ومهدت للعولمة التي نشهدها اليوم، لكن الجديد فيها هو تزايد وتيرة تسارعها في الفترة الأخيرة بفضل تقدم وسائل الإعلام والاتصال، ووسائل النقل والمواصلات والتقدم العلمي بشكل عام، ومع ذلك فهي لم تكتمل بعد. (العتيبي وآخرون، ٢٠٠٨، ٣٤)

وكانت وكالات الأنباء الوسيلة الأولى للعولمة الإعلامية، منذ أن انطلقت أولى تلك الوكالات عام ١٨٢٥ ، إذ أدت هذه الوسيلة الإعلامية دورا مهما في نقل الأخبار وتبادلها، وفرضت نفسها بقوة على شتى أنحاء العالم، وقدمت خدمات عدة للمشتركين فيها والمتابعين لموادها الخبرية ومنتجاتها المختلفة، وأسهمت في تعزيز نفوذ الدول القوية، وفي التأثير على الرأي العام العالمي، وتوجيهه وجهات تتناسب مع سياساتها، وأهداف القائمين عليها والممولين لها (بدران، ٢٠٠٧، ٥).

وتطورت هذه الوكالات بمرور السنين، وعززت من دورها وانتشارها، لتبقى الوسيلة الإعلامية الأولى في العالم من حيث التأثير، والفعالية، والتوجيه والانتشار، مع انخفاض طفيف ملحوظ في العقد الأخير بسبب انتشار الفضائيات في معظم مناطق العالم، وازدياد التنافس بينها للظفر بأكبر شريحة ممكنة من المتابعين والمشتركين، ثم انتشار الإنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي.

لكن، بالرغم من ذلك التنافس المحموم بين الفضائيات نفسها من جهة، وبين الفضائيات ووكالات الأنباء من جهة أخرى، ظلت هذه الأخيرة صاحبة النفوذ الأكبر، ومازالت حصتها من سوق وسائل الإعلام تراوح بين ٧٠ و ٧٥ في المئة، حسب إحصاءات متفاوتة تجريها مؤسسات أهلية متخصصة بين مدة وأخرى (بدران، ٢٠٠٧، ٥).

وأضحت العولمة الإعلامية سمة رئيسية من سمات هذا العصر، و هي امتداد أو توسع في مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه، و ذلك كمقدمة لنوع من التوسع الثقافي نتيجة ذلك التطور لوسائل الإعلام، التي جعلت بالإمكان فصل المكان عن الهوية، و القفز فوق الحدود الثقافية و السياسية، و التقليل من مشاعر الانتماء إلى مكان محدود (عبد الجبار، ٢٠٠٨، ٢٠٦).

وإذا كان القرن العشرون قد شكل منطلق الثورات التكنولوجية المتلاحقة في مجالات مختلفة، فإن الملمح الأساسي للقرن الحادي والعشرين يتجسد في ثورة الاتصال والمعلومات والتفجر المعرفي. وفي قلب هذه الثورة تأخذ وسائل الإعلام الجماهيرية مكانا يتميز بالأهمية والخطورة، وبخاصة في مجال الإعلام الحديث (كمواقع التواصل الاجتماعي) الذي استحوذ على خصائص الاتصال مجتمعة كالصورة والصوت واللون والحركة والتفاعل والتعليق.

ويمكن للإعلام العربي أن يساهم بقوة في عولمة الإعلام، من خلال كونه لاعبا مؤثرا فيها وليس مستقبلا متلقيا جامدا لها، وذلك عبر مواد إعلامية تواجه التدفق الإعلامي، وتخاطب الجمهور العربي، أو الجمهور الخارجي، تعبر فيها عن قضايا المجتمعات العربية وواقعها، وتسهم في عملية التنمية العالمية، ونشر الأمن وإحلال السلام والأمان في ربوع الكون.

أ- تعريف العولمة الإعلامية

ثمة تعريفات عدة للعولمة الإعلامية منها

- عملية تستهدف التسريع المتصاعد والمستمر في قدرات وسائل الإعلام على تجاوز الحدود بين الدول، والتأثير في المتلقين الذي ينتمون إلى ثقافات متباينة، وذلك بهدف توحيد أسوق العالم ودمجها من ناحية، وتحقيقمكاسب للأطراف المهيمنة على صناعة الإعلام والاتصال من ناحية ثانية وهي الدول الغربية المتطورة بالأساس (شومان، ١٩٩٨).
- هي سيطرة وتحكم نظم اتصالية حديثة تابعة للدول المتقدمة في المحيطٍ الاتصاليٍ والإعلامي الدولي، بهدف التأثير على الدول النامية ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا من خلال علاقات السيطرة والتبعية (Felisa,2004 ,171).
- هي العملية التي تقوم من خلالها وسائل الاتصال الحديثة كالأقمار الصناعية والإنترنت بالترويج لثقافة محددة تسعى لفرض قيم وفكر واتجاهات وأذواق استهلاكية محددة (جيدوري، ٢٠١٢).

ب- سمات العولمة الإعلامية

ثمة عدد من السمات التي تتميز بها العولمة الإعلامية، منها

- وجود حالة من التكامل والاندماج بين وسائل الإعلام الجماهيري وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات أوجدت وسائل جديدة في الاتصال، كالبث الفضائي وتكنولوجيا الاتصال متعددة الوسائط، وتكنولوجيا الاتصال التفاعلي بتطبيقاتها المختلفة (حسين، ٢٠١٢).
- العولمة الإعلامية عملية تتسم بالتغير السريع، لذا هي لم تأخذ شكلها النهائي بعد، فهي عملية تمر بمرحلة انتقالية (شومان، ١٩٩٨).
- النمو الهائل في اقتصاديات الإعلام والاتصالات والمعلومات، مما أفضى إلى مزيد من التداخل بين عولمة الإعلام وعولمة الاقتصاد،، بل صارت عولمة الإعلام جزءا أصيلا من عولمة الاقتصاد، بالنظر إلى الدور الكبير لقطاع الاتصالات والإعلام والمعلومات في اقتصاديات الدول الكبرى، والأسواق العالمية (ملي، ٢٠١٠).
- توسيع الخيارات والبدائل الإعلامية المتاحة أمام الجمهور. فقد وفرت تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية مئات القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية و الصحف والمجلات، إضافة إلى شبكات التواصل الاجتماعي التي غزت الدول، وصارت متاحة في كل وقت ومكان من خلال الهواتف الذكية المنتشرة بصورة واسعة.
- تقليص دور الحكومات والمنظمات الدولية في تنظيم بيئة الإعلام المحلية والدولية، لصالح الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسية، وذلك من خلال الدعوة إلى تغيير التشريعات والنظم التي تعوق التدفق الحر للمعلومات كالتخطيط والرقابة والمنع والمصادرة (ملي، ٢٠١٠).

ج- أبعاد العولمة الإعلامية

لم تعد العولمة الإعلامية تتخفى بصورة وأشكال مختلفة، أو تلبس لبوس الخشية والحياء، بل صار بالإمكان رؤية تمثلاتها حاليا من خلال الصور والإشارات والرموز والنصوص المرئية على الشاشات الإلكترونية، والأجهزة الحاسوبية الحديثة والهواتف الذكية، وأخذت تشكل تهديدا جديا لمنظومات القيم في المجتمعات العربية، ولهويتها الثقافية.

وعلى الرغم من تأكيد وكالات الأنباء العالمية – التي تعد أهم وسائل العولمة الإعلامية – أنها تقف على الحياد من الأخبار التي تزود المشتركين بها، وأنها تبثها بموضوعية تامة ولا توجهها حسب أفكار ورؤى سياسية معينة، فإن لها تأثيرا كبيرا على حركة التدفق الدولي للأخبار.

ويلاحظ أن هذا التدفق "يأخذ اتجاهاً واحداً من الغرب إلى الشرق، بمعنى أن حجم الأنباء التي تحملها هذه الوكالات يفوق عدة مرات كمية الأنباء التي تنقلها عن دول العالم الثالث، فيما يطلق عليه بالاختلال الكمي، وفي نفس الوقت، فإن نوعية الأنباء تحمل تحيزا واضحا في مصلحة الغرب وتحاملا أكثر وضوحا على دول العالم الثالث، فيما يعرف بالاختلال الكيفي" (عجوة وآخرون، ١٩٨٩، ٢٧١).

وعلى الرغم من تعدد وتنوع الأبعاد المختلفة للعولمة الإعلامية وتفاعلاتها الواقعية على المحيط العربي، غير أن أكثر هذه الأبعاد قابلية للرصد والتحليل والتعامل مع آثارها بعدان أساسيان هما:

- البعد الكمي (الاختلال الإعلامي)

نعني بالتدفق الإعلامي تدفق المواد والصور الخبرية والمعلومات المختلفة، لاسيما عن طريق وكالات الأنباء العالمية، والقنوات الفضائية ذات الصبغة العالمية الواسعة التأثير.

وعلى الرغم من أن مظاهر التبعية الاقتصادية في العالم الثالث أصبحت واضحة للجميع فإن التبعية الثقافية والإعلامية لم يتم الكشف عنهما إلا بشكل محدود وفى سياق الاهتمام بدراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية. وبعد مرور عقود عدة حفلت بالممارسات والمحاولات العديدة من أجل الخروج من دائرة التبعية فإنه لم يقدر النجاح إلا لحالات قليلة في حين لا تزال معظم شعوب العالم الثالث تسعى للخلاص الشامل (عبد الرحمن، ١٩٩٤، ٥) من كل أنواع التبعية.

وفي أواخر السبعينيات من القرن العشرين ساد نقاش حول التدفق غير المتكافئ للمواد الثقافية و الإعلامية على المجتمع الدولي، و كانت منظمة اليونسكو المنبر الأساسي للتعبير عن الموضوع، لكن تدخلت العديد من العوامل لإفشال المناقشات حول خلل التدفق غير العادل والمتكافئ، إذ إن الموقف الأمريكي كان يريد فرض أطروحة حرية تدفق المعلومات و الإعلام (ماتلار، ٢٠٠٥، ١٣٤).

وحاليا، فإن وكالات الأنباء الغربية تسيطر على نحو ٨٠ في المئة من المواد الخبرية، وتحتكر الولايات المتحدة نسبة عالية من صناعة الأخبار، وبث المعلومات عبر الفضائيات وشبكة الإنترنت ووكالات الأنباء، وتُصدر عبر شركاتها نحو ثلاثة أرباع البرامج التي تبثها عبر العالم، في حين لا تتعدى نسبة ما تستورده اثنين في المئة، وأن نحو ٩٠ في المئة من مصادر الأخبار في دول العالم الثالث مستوردة من الدول الغربية (جيدوري، ٢٠١٢).

إن بعض دول الغرب نفسه أو من هو قريب منها يشكو من تأثير العولمة الإعلامية، فثمة دراسة في أستراليا تشكو من المواد التلفزيونية الأمريكية على الأطفال، لأنها تؤدي إلى فقدان الانتماء وإلى أزمة أخلاقية وغربة ثقافية، وكذلك في كندا حيث وجد أن (٦٠٪) من برامج التلفزيون الكندي مستوردة، و(٧٠٪) من موسيقاها أجنبية، و(٩٥٪) من القيم الأخلاقية التي تبثها الفضائيات ليست كندية (القاسم، ٢٠٠٦).

ومن الواضح أن العولمة في مجال الإعلام تتمثل خطورتها في أنها تعكس الاختلال القائم بين العالم المتقدم والعالم الثالث، وبين الذين يملكون القدرة على الإرسال والبث والذين لا يملكون إلا أن يكونوا متلقين ومستهدفين بهذا الإرسال وذلك البث (مهنا، ٢٠٠٩، ٢٠).

ومما يستحق الإشارة إليه أن لهذه العولمة الإعلامية الكمية أبعاداً وآثاراً كيفية، لأن هذا الإنتاج الإعلامي الكبير غالبا ما يكون محملا بمجموعة من الاتجاهات والقيم والأفكار والمواقف يسعى إلى ترويجها بأساليب فنية راقية، وإبداع تقني على مستوى عال من حيث الشكل والصياغة، مما يدفع المتلقي للتقبل والتجاوب مع المضمون الإعلامي لها. وعندما نضيف إلى تلك الصورة السابقة للاختلال ما يشهده الواقع العربي نفسه من خلل إعلامي بين الدول العربية نفسها (إمكانات وكوادر وبرامج)، فإن الوقوع في فخ العولمة الإعلامية يصبح أمرا لا مفر منه، هذا في الوقت الذي يتميز فيه الواقع العربي عموما، والإعلامي على وجه الخصوص بالركون إلى الاقتباس واللهث وراء المنتج الغربي أيا كان مضمونه الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والتربوي (جيدوري، ٢٠١٢).

- البعد الكيفي (مضمون الرسالة الإعلامية)

تسعى الرسائل الإعلامية إلى تحقيق أكبر أثر لها في الجمهور المستهدف، والوصول إلى أكبر رقعة جغرافية ممكنة في المنطقة التي تنشط فيها، وإحداث التغيير المنشود لدى الموجودين فيها، والإفادة من العلوم الإنسانية الأخرى لمعرفة السبل المثلى للوصول إلى الأهداف المنشودة منها.

وتعد الرسالة ركنا رئيسيا في العملية الإعلامية بصورة عامة، باعتبارها تربط الحقائق بواقع الفرد ومصالحه المباشرة، وتعبر عن مضامين النشاطات الإعلامية بطريقة واضحة وسهلة، وتصل إلى الجمهور المستهدف بسهولة ويسر.

ولعل من أبرز صور المظهر الكيفي للعولمة الإعلامية تلك الصور النمطية السلبية المشوهة التي تنقلها وسائل الإعلام الغربية عن شعوب العالم الثالث، وعن الشعوب العربية والإسلامية على وجه الخصوص، والتي تصل إلى درجة التوجهات العنصرية نحو كلّ ما هو عربي في مضمون الرسالة الإعلامية(جيدوري، ٢٠١٢).

وسارت بعض الفضائيات العربية في ركاب العولمة الإعلامية السلبية فسعت إلى ترويج السلع وبيع الأحلام والإثارة والمتعة والنجومية. وهذه الفضائيات لا تقل خطرا عن الوسائط الغربية أحيانا في تعزيز القيم الاستهلاكية، والترويج لكل مفاهيم العنصرية والطائفية. فهناك فضائيات عربية تخصص برامج كاملة يومية للتبصير والتنجيم والترويج للخرافات والأساطير. وهناك محطات تمارس فعلها للترويج للتعصب الطائفي، وهي تستهدف الإنسان العربي والثقافة العربية والوجود الإنساني العربي (وطفة، ٢٠١٣، ٣١٣).

ثانيا- مفهوم الهوية الثقافية

هنالك علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة، بحيث يتعذر الفصل بينهما، فليس هناك هوية ما لأي شعب أو مجتمع إلا وتختزل بصورة ثقافة، وليس هنالك هوية من دون منظور ثقافي، أو إذا لم تستند إلى خلفية ثقافية.

وهنالك ثقافات عدة تكون موجودة ضمن إطار الهوية الواحدة، وقد تتنوع الهويات الموجودة ضمن ثقافة واحدة، وذلك ما يعبّر عنه بالتنوّع في إطار الوحدة، فقد تنتمي هوية شعب من الشعوب إلى ثقافات متعددة، تمتزج عناصرها، وتتلاقح مكوّناتها، فتتبلور في هوية واحدة(التويجري، ٢٠٠٣).

١. الهوية في اللغة والاصطلاح

ما زال تعريف الهوية يثير الكثير من الباحثين ويستحثهم للوصول إلى تعريف جامع مانع يعطي صورة واضحة عن هذا المصطلح الذي يتشعب ليشمل معظم مجالات الحياة، ويمس بصورة خاصة علوم النفس والتربية واللغة والإعلام والاجتماع.

واجتهد عدد من الباحثين للوصول إلى تعريفات محددة لمصطلح الهوية، لكن هذه التعريفات كانت تنطلق من الزاوية التي ينظر بها أي باحث لهذا المفهوم، ومن الخلفية العلمية التي يتمتع بها، ومن العلوم والمعارف التي يتخصص بها.

أ- الهوية لغة

الهُوِيَّةُ Identity، بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء المفتوحة– كلمة قادمة من عالم الفلسفة والتصوف، وقد ولدها العرب والمسلمون قديما من النسبة إلى "هو" أو "الهو" لتؤدي معنى فعل الكينونة في اللغات الهندو أوروبية الذي يربط بين الموضوع والمحمول، ثم عدلوا ووضعوا بدلا من هو "الموجود" ومن الهوية "الوجود". ومع ذلك فقد فرضت الكلمة نفسها كمصطلح فلسفي يستدل به على كون الشيء هو نفسه. الكلمة إذا لا علاقة لها بالمادة اللغوية "هوى" فهي ليست مشتقة. إن دلالة الكلمة ليست سوى وجه آخر لما يعبر عنه بـ "الحقيقة" أو "الذات" أو "الماهية"، ولذلك فإنهم كثيرا ما يعرفون أحد هذه الألفاظ بالآخر(الحفيان، ٢٠٠٤).

وأوردت كتب اللغة تعريفات عدة للهوية، فجاء في كتاب (الكليات) لأبي البقاء الكفوي، أن ماهية الشيء هو باعتبار تحققه يسمى ذاتا، وباعتبار تشخيصه يسمى هوية، وإذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ماهية (الكفوي، ١٩٩٥، ٩٦١). أما الجرجانى فقال إن الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق(الجرجاني، ١٩٩٥، ٢٥٧).

وجاء في المعجم الوسيط أن الهوية" حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره. وهي أيضا بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمى البطاقة الشخصية أيضا.(أنيس وآخرون، ١٩٨٢)

وحدث تطور دلالي لمفهوم الهوية بمرور الزمن، فأصبحت "الهوية" هي الحقيقة أو الماهية أو الذات للشيء، أي شيء. وقد عبر العلماء عنها بأنها "ما به الشيء هو هو" يريدون أنها ذلك الأمر الذي يجعل شيئا ما هو لا غيره، ولكن في حال تشخصه. أما في حال تحققه فهو حقيقة وذات. وأما إذا كان أعم من التشخص والتحقق فهو ماهية. هذه الفروق بين الألفاظ الثلاثة تحدثوا عنها أيضا على وفق اعتبار الكلية والجزئية فقالوا: الكلي ماهية، والجزئي هوية. وبعيدا عن هذين الاعتبارين هو حقيقة(الحفيان، ٢٠٠٤).

ب- الهوية في الاصطلاح

للهوية تعريفات عديدة عند الفلاسفة والمتصوفة وعلماء النفس والتربية والاجتماع وغيرهم. وثمة من حصرها بالحقيقة والماهية والذات والوحدة والاندماج والانتماء والتساوي والتشابه.

وتعرف الهوية بأنها مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقته لمثيله؛ وفي المعاجم الحديثة فإنها لا تخرج عن هذا المضمون، فالهوية هي حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية، والتي تميزه عن غير وتسمى أيضا وحدة الذات(الموسوعة الفلسفية، ١٩٨٦)

والهوية – من المنظور الفلسفي – هي حقيقة الشيء أو ماهيته أو ذاته في حال تشخصها، أو تحددها، أو تميزها من غيرها. ويعرف المتصوفة الهوية بأنها "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق". أما عند علماء النفس فهي "وحدة ذات الشخص في مراحله المختلفة، طفلا وشابّا وكهلا وشيخا". وعلماء الاجتماع يرون في "الهوية" ذلك "الشيء الذي يُشعر الشخص بالاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه، والانتماء إليه". وعند علماء الميتافيزيقا (الغيبيات) فالهوية "جوهر العقل وماهيته"، أو أنها والعقل شيء واحد، فهي ماهيته وصورته وقانونه. ويقترب علماء المنطق والرياضيات من الأفهام أكثر عندما ينظرون إلى "الهوية" على أنها "علاقة بين شيئين تجعل منهما متساويين، فهي ما يجعل شيئا ما متشابها تماما مع شيء آخر"(الحفيان، ٢٠٠٤).

ويعرف الجابري الهوية بأنها "مركب متجانس من الرموز والقيم والعادات والتقاليد والأعراف الشعبية التي تحتفظ بطابعها الخاص والاستثنائي، لذلك فهي هوية وطنية قائمة الذات. ولأنها كذلك، فلأنها تعني إيجاد التطابق أو التوافق، أو التوازي بين الكتلة الاجتماعية ديموغرافيا ورقعتها الجغرافية هي التي تمارس عليها نتاجها الاجتماعي، وتعبر من خلالها عن نفسها عبر نمطها الثقافي الخاص بها"(الجابري، ١٩٩٦، ١٧٧).

٢. الهوية الثقافية

يعد مفهوم الثقافة Culture من أكثر المفاهيم تداولا وشيوعا، ومن أكثرها غموضا وتعقيدا. وتشكل الثقافة ضمن النسق الاجتماعي العام نسقا فرعيا متميزا ومستقلا، لكنه يتفاعل مع بقية الأنساق الفرعية الأخرى ويتطور معها وبها.

والثقافة هي مجموع القيم والقواعد والأعراف والتقاليد والخطط التي تبدع وتنظم الدلالات العقلية والروحية والحسية، وتعمل على الحفاظ على توازن النسق الاجتماعي واستقراره ووحدته. والثقافة تغذي الأنساق الفرعية للنسق الاجتماعي بقيم مماثلة فتخلق نسيجا اجتماعيا واحدا قادرا على إعادة إنتاج نفسه. لذلك فإن الثقافة ليست إلا المجتمع نفسه وقد أصبح مظهرا للوعي أو وعيا، وهذا الوعي هو في ذات الوقت وعي للذات(عادل، ٢٠١٠).

ولفظة ثقافة قديمة في اللغة الفرنسية، إذ ظهرت في القرن الثاني عشر، للدلالة على فعل العبادة، وبدأت تشير إلى فعل حراثة أرض وزراعتها في القرن السادس عشر. لكن هذه الكلمة بدأت تأخذ أبعادا اجتماعية، منذ بداية القرن الثامن عشر. ويعد تعريف تايلور للثقافة، في كتابه الثقافة البدائية Culture primitive عام ١٨٧٤، من أكثر تعاريف الثقافة شيوعا، إذ يعرفها بأنها" كلٌ يشتمل على المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات والتقاليد والاتجاهات والاستعدادات التي يكتسبها الفرد بوصفه عضوا في الجماعة"(وطفة، ٢٠١٢، أ ٩٥).

ويرى الدكتور حسين مؤنس (نقلا عن عادل، ٢٠١٠) أنه ليس في معاني لفظ ثقف في المعاجم العربية ما يتفق مع المعنى الذي نريده نحن اليوم من كلمة ثقافة، بل نحن لا نستعمل ثقف أو ثقف بل تثقف يتثقف بمعنى اطلع اطلاعا واسعا في شتى فروع المعنى حتى أصبح رجلا مثقفا، فاللفظ يستعمل اليوم في معنى الاطلاع الواسع المطلق غير المحدد بتخصص، ولا وجود لهذا المعنى في المعاني القديمة للفظ الثقافة.

إن مفهوم الثقافة يرتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع الذي يسود فيه هذا المفهوم، وبالماضي الذي عاشه أبناء هذا المجتمع، والمستقبل الذي يتطلعون إلى الوصول إليه.

و تتحدد السمات الأساسية للهوية في مجتمع ما بطابع الثقافة السائدة في ذلك المجتمع، وهذا يعني أن الهوية الفردية والاجتماعية "كيان متشبع بالثقافة، لذا فإن فهم الهوية وإدراك أبعادها مرهون بإدراك الثقافة وتحديد اتجاهاتها ومضامينها؛ فالشخصية الثقافية المطابقة للهوية تتباين من ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر(الأحمد، ٢٠١٠، ٧٥).

وثقافة العولمة الطاغية حاليا لا يمكن فهمها إلا في ضوء مفهوم الثقافة المحلية والوطنية، فتلك الأخيرة تتكون من جماع أساليب السلوك والأفكار والرموز والفنون التي تميّز شعبا من الشعوب، على الرغم من تنوعها الداخلي و تتميّز الثقافة الوطنية بالتجانس، أما ثقافة العولمة فإنها تتجاوز الثقافة الوطنية، متخطية حدود الدول، وتنتشر من خلال آليات تدفق السلع والأفراد والمعلومات والمعرفة والصورة(التويجري، ٢٠٠٣).

وثمة تعريفات عديدة للهوية الثقافية، منها أنها جميع السمات المميزة للأفراد والجماعات كاللّغة والدين والتاريخ والعادات والتقاليد والقيم وأنماط العلاقات الاجتماعية وطرائق التفكير وسبل السلوك والتصرف وغيرها، مما يحفظ للجماعة شخصيتها المتجددة عبر العصور وتميزها عن غيرها من الأمم (الضبع، ٢٠١٠).

ويرى باحث آخر أن الهوية الثقافية هي التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط وسلوك وميل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة، وبالتالي تتضمن الهوية الثقافية منظومة القيم أو المعايير المقياسية التي تفرز بها جماعة أو مجتمع بين الجيد والرديء وبين المرغوب وغير المرغوب (الأحمد، ٢٠١٠، ٥٣).

إن الثقافة تشكل مضمون الهوية التي تميزنا وتحقق لنا مشاعر الأمن والاستقرار، فعندما تكون الثقافة متماسكة ومرنة ومنفتحة فإن الهوية تشبع بطابع التكامل والتماسك، لكنها عندما تكون على النقيض من ذلك فإن هذا يؤدي إلى التضارب والتصدع في الهوية، ومن ثم إلى ما يعرف بأزمة الهوية.

ثالثا- العولمة الإعلامية و الهوية الثقافية العربية

١. العولمة الإعلامية واللغة العربية

تعد اللغة أداة التواصل والتعارف، ووعاء الفكر والعلم، بها يعبر الإنسان عن مكنوناته، وبواسطتها يتواصل الناس فيما بينهم ويتعارفون. وهي خاصية إنسانية لا يشركه فيها غيره من الكائنات التي نعرفها.

والمقصود باللغة هنا هي اللغة بوصفها أداةً للتفكير للإنسان، تؤثر فيه وتتأثر به، فهذه هي حقيقة اللغة وجوهرها، أما أصواتها وكلماتها وتركيبها فهي لبوس هذه الحقيقة، وهو لبوس - على الرغم من شكليته- علامة خصوصية، ومصدر اعتزاز (الحفيان، ٢٠٠٤).

واللغة وعاء الثقافة، واللغة نفسها ثقافة، واللغة هوية للناطقين بها، وهي نفسها رمز لتلك الهوية. واللغة نَسب المرء إلى أمته، ورمز انتمائه إلى قومه. واللغة العربية هي صورة أمتنا في كل ما أنتجته من علم ومعرفة وحضارة. هي أمتنا في علومها وآدابها وفنونها، وفي قيمها الدينية والخلقية والاجتماعية(المبارك، ٢٠٠٩، ٣٥٩).

وهنالك حقيقة لغوية يؤيدها الواقع ويؤكدها التاريخ، وهي ارتباط اللغة - أي لغة - بحضارة أصحابها. فاللغة والحضارة يتناسبان طرداً، وهذا يعني أن اللغة ظاهرة اجتماعية تعيش مع الإنسان جنبا إلى جنب تضعف بضعفه، وتنمو وتزدهر بنموه وازدهاره.

ولما كانت اللغة محور الثقافة ووسيلة من وسائل التفكير الذي يحدد رؤية العالم ونواميسه كانت معرفتها أهم ركيزة لتحصين الهوية والذات والشخصية، والهوية مفهوم ذو دلالة لغوية وفلسفية واجتماعية وثقافية، ويتضمن الإحساس بالانتماء القومي والديني والاثني. وإذا كانت اللغة هي الأساس الصلب الذي تقوم عليه الأمة فإن الهوية في الواقع هي خاصية اللغة ووظيفتها الأساسية.(السيد، ٢٠٠٩، ٦٤٤)

والصراع مع العولمة واقع تعيشه اليوم كل اللغات، لكن الأمم القوية لم تسمح لهذه العولمة بالنيل من لغاتها فبادرت إلى تحصينها واستصدار التشريعات الكفيلة بحفظها ونشرها.

وفي الوطن العربي أدت العولمة الإعلامية إلى تسويق اللهجة العامية على حساب العربية الفصحى، إضافة إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية، ولاسيما الإنجليزية، الناتج غالبا عن الانبهار بكل ما هو أجنبي، والظن الزائف بأن التقدم لا يأتي إلا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية، بل والتحدث بها بين العرب أنفسهم. وهذا الشعور يأتي من الإحساس بالهزيمة النفسية التي يعاني منها العربي، والإعجاب المتنامي بصانع الحضارة المعاصرة الذي يمثل المنتصر والغالب(بن خيرة، ٢٠١٠)

لقد أسهمت وسائل الإعلام مع انتشار العولمة الإعلامية في انتشار كثير من الأساليب والتراكيب والكلمات العربية غير السليمة، وأدى ذلك إلى شيوع هذه الأساليب واستخدام الناس لها، وفشوها في محادثاتهم وكتاباتهم. وانتقل قسم كبير من هذه الأساليب والتراكيب واللغوية إلى لغتنا الأم عن طريق الترجمات المشوهة والناقصة، والبعيدة عن الأساليب الواضحة المشرقة البيان، وقدر لهذه الأساليب أن تنتشر وتلقى رواجا في ضوء غياب وسائل الإعلام التي تستخدم اللغة العربية السليمة.

إن وضع اللغة العربية في عصور العولمة الإعلامية يندى له الجبين بسبب ما تتعرض له من هجوم وتشويه ومحاربة، لكن هذا الأمر لا ينبغي أن يجعلنا نتشاءم ونقنت، بل علينا أن نكون قادرين على تحديد علامات الأزمة، وعلى استنباط سبل تخطيها، بالانخراط الواعي اليقظ في مسيرة العولمة، مع الحفاظ على عقيدتنا وقيمنا ولغتنا وهويتنا (سعد الدين، ٢٠٠٩، ٤).

٢. العولمة الإعلامية والتراث الثقافي والموروث الشعبي

إن تراث أي أمة ركيزة أساسية من ركائز هويتها الثقافية، وعنوان اعتزازها بذاتيتها الحضارية في تاريخها وحاضرها. ولطالما كان التراث الثقافي للأمم منبعا للإلهام ومصدرًا حيويا للإبداع المعاصر ينهل منه جميع أبنائها.

ويدرك المتأمل للتراث العربي في الفكر والثقافة والفنون والعمارة، والآثار التي خلفها السلف، أنها جميعا تشهد على عظمة أمة ينبغي أن يعي الإنسان العربي شموخها وعظمتها، حتى يستكمل ملامح هويته العربية، ونعمق انتماءه لهذا التراث العظيم(ليلة، ٢٠٠٩، ٩٤).

والتراث الثقافي ليس معالم وصروحا وآثارًا فحسب، بل هو أيضا كل ما يؤثر عن أمة من تعبير غير مادي، من فولكلور، وأغان وموسيقا شعبية وحكايات ومعارف تقليدية تتوارثها الأمة عبر أجيال وعصور، وكذا تلك الصروح المعمارية المتعددة والمختلفة، وتلك البقايا المادية من أوان وحلي، وملابس، ووثائق، وكتابات جدارية وغيرها؛ إذ كلها تعبّر عن روحها، ونبض حياتها وثقافتها(خلف، ٢٠١٠).

وبصورة عامة يمكن القول إن التراث العربي تراث متمايز أنتجته عقلية ذات خصوصية، مستمدة من خصوصية الواقع الذي تعاملت معه. وهذه العقلية العربية عبارة عن نسق فكري مركب، أنتج حضارة متمايزة، عليها بصمات تلك العقلية ومنطلقاتها ومبادئها ووسائلها، على اعتبار أن الحضارة لا يمكن أن تكون إلا ثمرة فكرها، حتى تحافظ على هويتها(حلاق، ١٩٩٧، ٥٨)

والناظر في التراث الثقافي للأمة العربية يجد أنه يضرب بجذوره في أعمق مضامين الهوية الثقافية في المجتمعات العربية، وبشكل منطلق كل محاولة تجد في طلب الهوية وتأصيلها والمحافظة على بنيان المجتمع وكينونته الإنسانية(وطفة، ٢٠٠٩).

والتراث هوية ثقافية بما ينطوي عليه من عناصر توحيدية، وأحد أهم عناصر وحدة وتكامل المجتمعات العربية. وأصبح التراث بالنسبة للوعي العربي المعاصر عنوانا على حضور الآباء في الأبناء، وحضور السلف في الخلف، وحضور الماضي في الحاضر(الجابري، ١٩٩١، ٢٤).

لقد ساهمت العولمة الإعلامية في إضعاف الصلة بالتراث الثقافي والتشكيك في جدواه في العصر الحالي، وسعت إلى تعزيز مفهوم الثقافة الكونية الواحدة، والتراث العالمي الموحد.

ويتبين ذلك من خلال تركيز وسائل الإعلام الغربية على ما سمته "مركزية الحضارة"، معلنة بذلك أن الدول المتطورة تمتلك مشروعا حضاريا عالميا لا يمكن لأمة من الأمم الفكاك منه، إلا إذا حكمت على نفسها بالبقاء على الهامش(حلاق، ١٩٩٧، ٤٩)، واعتبار أن النظام العالمي الجديد، ما هو إلا استبداد حضارة مهيمنة بحضارات أخرى، في محاولة لإلغائها، والقضاء عليها، أو على الأقل إلحاقها بتلك الحضارة المستبدة، وأن كثرة الحديث عن ثنائية التراث/ الهوية، والثنائيات المكافئة، نتيجة من نتائج العلاقة الإشكالية مع الغرب (حلاق، ١٩٩٧، ٥٣)، إضافة إلى الدعوة إلى تنميط العالم بالشكل الذي يخدم مصالح القوى الرأسمالية العالمية المسيطرة، و تعميم نموذجها الحضاري وفرضه على العالم بكل الوسائل الممكنة، وتفكيك التراث الثقافي واختراقه وتدميره وإفراغه من محتواه الإنساني (وطفة، ٢٠٠٩).

لقد أثرت العولمة الإعلامية على فقدان التراث الثقافي المادي بهجته القديمة ؛ لأن الاستفادة منه واستخدامه كانا يتحققان في ظل شعائر وطقوس مبهجة، وحل محلها تراث مادي يقتصر على الجانب الوظيفي أو المادي فقط. كما اختفت الألعاب الشعبية للكبار حينما كانوا يجتمعون معا، ويعززون من خلالها علاقاتهم الاجتماعية، وكذا تحولت ألعاب الصغار من روح جماعية في الحي الواحد وتقارب نفسي واجتماعي إلى انزواء وراء الأجهزة المادية الحديثة(ليلة، ٢٠٠٩، ١٠٠).

إن دخول العولمة للمجتمعات سيفقدها حتماً جزءاً كبيراً من ذاكرتها الشفوية، وهذا بدوره سيؤدي إلى كارثة تراثية يمكنها أن تدمر أهم عناصر الهوية في مجتمعاتنا العربية. وهذا يعني أنه يجب علينا المحافظة على الذاكرة التراثية الشعبية وحماية الثقافة الشفوية الأصيلة المتجددة التي تأخذ أشكالاً فنية متعددة تبدأ من الحكايات والأساطير الشعبية والأغاني الشعبية والأدوات التقليدية التي يستخدمها الصنّاع وأرباب العمل، وصولاً إلى نداءات الباعة المتجولين وحكايات الحارات، وهي التي تشكل بمجموعها نسقا من الموارد التراثية المعرفية الضرورية لبناء ثقافة الأمة وهويتها. (وطفة، ٢٠٠٩).

وتأثر بعض المفكرين العرب بالعولمة الإعلامية، فطرحوا أمرين يتعلقان بالتعامل مع التراث؛ فدعا بعضهم إلى الالتحاق بالمشروع الغربي للحضارة، دون قيد أو شرط، وتبني أنماط سلوكهم، لأن ذلك يشكل المدخل الحقيقي للعصر، في حين دعا بعضهم الآخر إلى الانكفاء على الذات، والاعتصام بالموروث، لنستمد بعد ذلك القوة والمنعة، والذات التي يدعون للرجوع إليها تعني الرجوع إلى العصر الذهبي للأمة، لنمذجته والاقتداء به(حلاق، ١٩٩٧، ٦٠).

ويرد حلاق (١٩٩٧، ٦١) على هذين النمطين من التفكير بالقول إن الالتحاق بالمشروع الغربي والتخلي عن الهوية والخصوصية، خيانة، لأنها دعوة لأن تغادر الأمة إهابها، لتسكن في إهاب مستعار، لم يفصل على مقاسها، وسيبقى ثوبا مستعارا، تدفع ثمنه، أو بالأحرى أجرته، من وجودها وكيانها وقيمها وثرواتها، مضحية بكل إنجازاتها عبر التاريخ، كما أن الجمود عند منجزات عصر بعينه، خروج من التاريخ، وإهدار للخبرات، وحكم على النفس بالموت.

إن التراث الثقافي هوية إنسانية جامعة، وهو كينونة فينا نصقله ويصقلنا وندفعه بأمانة إلى الأجيال التي تلينا إرثا إنسانيا ينير لهم دروب الحياة في مواجهة الحب والحياة والموت والفرح والأحزان. وإذا كنا لا نستطيع أن نجدد فيه فإن علينا حمايته من الاندثار والتداعي والسقوط، والعمل على تدوينه وتصنيفه، وعلى تعليمه وتأكيد أهميته (وطفة، ٢٠٠٩).

٣. العولمة الإعلامية والمذهبية والطائفية والقبلية والعشائرية

إن حضور الهوية الثقافية يقاس بمدى حضور العناصر الثقافية لهذه الهوية في سلوك الناس ومدى تجليها في أنماط حياتهم ووجودهم، ومن ثم فإن الأبعاد الثقافية للهوية لا تأخذ موقع الهيمنة في الحياة العامة للناس، لأن أنماط السلوك ما زالت تستمد وجودها من ثقافة تقليدية قبلية إثنية أو طائفية وإقليمية.

وأدت العولمة إلى إحداث تحول كبير في عوامل الوجود الإنساني، وتركت بصماتها في كل جوانب الحياة، وأصبحت الهوية ترتهن بانتماء الفرد إلى فئات اجتماعية وثقافية، وبما يؤديه الفرد من أداور ومواقف في المجتمع أو بما يؤمن به من أفكار وعقائد، فالهوية الشخصية ترتبط بالدرجة الأولى بوعي الآخرين بها على أساس ما يحتكم إليه من مكونات وخصوصياتها(الصراف، ٢٠٠٢، ٤٢).

ويمكن تبين تأثيرات العولمة من خلال ملاحظة أن الهوية الوطنية في الدول العربية لم تنجز بعد كثقافة حياة ووجود، وبقيت هوية مؤسساتية تنظيمية للحياة مرهونة بمؤسسات الدولة وقوانينها؛ لأن الهوية الوطنية تعاني من اختراق القبيلة والطائفة والعرق وهي هويات ضاربة الجذور في أعماق الفرد وكينونته(وطفة، ٢٠١٣، ٥٨).

وتدور الهُوية الثقافية في ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد، هي (عادل، ٢٠١٠)

- **الفرد داخل الجماعة الواحدة**، هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، وعن (أنا) لها آخر داخل الجماعة نفسها، (أنا) تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من الآخر القبيلة أو المذهب أو الطائفة أو الديانة أو التنظيم السياسي أو الجماعي.
- **الجماعات داخل الأمة**، هم كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة.
- الشيء نفسه يقال بالنسبة إلى **الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى** غير أنها أكثر تجريدا، وأوسع نطاقا، وأكثر قابلية على التعدد والتنوع والاختلاف.

لقد حملت العولمة الإعلامية معها أخطارا كبيرة تجاه التفكير في الأمور الطائفية والمذهبية والقبلية والعشائرية، ومن ثم الهوية الثقافية للمجتمعات العربية، مما بات يهدد تلك المجتمعات بتفكيك لحمتها الوطنية، وانفراط عقدها الاجتماعي، وتفتت نسيجها الأسري والعائلي، وإنشاء كيانات صغيرة ذات صبغة معينة تنطوي على نفسها، وتستقطب ذوي التجانس معها في الأصول أو المذهب أو الطائفة.

كما حملت العولمة الإعلامية معها ممارسات وفعاليات وأنساقا فكرية شعورية أو لاشعورية، واعية أو لا واعية، مضادة لفكرة الهوية الوطنية، تنادي بالفرقة والتعصب والتمذهب والانغلاق الثقافي والفكري. وأخذت رائحة الفكر المذهبي المنغلق تفوح في وسائل الإعلام، وبدأت التسميات الطائفية والمذهبية تشق طريقها إلى العلن دون خجل، أو أدنى غيرة على وحدة الوطن وهويته الثقافية، وتؤجج كل القيم المناهضة للهوية والوطن والمواطنة (وطفة: ٢٠١٣، ٢٦)

وأدت العولمة الإعلامية إلى إيقاظ النعرات والنزعات والعصبيات، وجعلت منها أداة فاعلة في إضعاف الهويات الوطنية، وهذا يعني في النهاية تضافر عوامل خارجية وداخلية في كسر

شوكة الهوية الوطنية، وتغييبها لصالح هويات فرعية متناحرة من حيث المظهر والجوهر(وطفة، ٢٠١٣، ٦٢).

والواقع الراهن يشعرنا بالحاجة إلى هوية ثقافية منفتحة على الآخر تتعايش معه وتقبل التجديد، دون أن تنجرف أو تقتلع من جذورها، أو تذوب في الآخر ؛ ذلك أن طبيعة المجتمعات الراهنة تجعل تكوينها متداخلا بين المحلي والكوكبي، فنحن جزء من هذا العالم نعيش فيه ونتعايش معه مع الاحتفاظ بقيمنا الأصيلة والاستفادة من منتجات الحضارات الأخرى بما يقوي ثقافتنا ويجذر هويتنا ويساهم في تجديد حياتنا وتطويره (بلغيث، ٢٠١١، ٣٥٢).

٤. العولمة الإعلامية والشعور بالاغتراب والعزلة الاجتماعية

اشتق مصطلح الاغتراب Alienation من الأصل اللاتيني Alienation الذي يدل على أحوال نفسية وعقلية متفاوتة قد تعني الشرود الذهني أو السرحان بدرجة تبعد الشخص عن الوعي بذاته، كما تعني غياب الوعي. وقد شاع استخدام الاصطلاح في أكثر من مجال مثل الفلسفة وعلم النفس والإحصاء وعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية والإنسانية بصفة عامة (الأحمد، ٢٠١٠، ١٢٣).

وعلى الرغم من وجود تباين بين المفكرين حول مفهوم الاغتراب، فإن هناك اتفاقا حول عدة مظاهر أو مكونات أساسية لهذا المفهوم، إذ ينطوي الاغتراب على معان سلبية ومكونات، يمكن بلورتها على النحو التالي:

١) الإحساس بالعجز أو فقدان القوة Powerlessness

٢) اللاهدف Aimlessness

٣) الإحساس باللامعنى Meaninglessness

٤) الإحساس باللامعيارية Normlessness

٥) التمرد Rebelliousness

٦) العزلة الاجتماعية Social Isolation

وتتبدى أهمية الهوية في دراسة الاغتراب الاجتماعي من حيث كونها ذات علاقة عكسية مع هذا المفهوم؛ فإذا قوي الشعور بالهوية قل الشعور بالاغتراب، والعكس بالعكس إذا ضعف الشعور بالهوية وقيمتها أو تم استبدالها بهوية غريبة أو إذا شوهت تحت قوى مؤثرة، زاد الشعور بالاغتراب عن الذات وعن المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد ومن هنا كانت أهميتها. وينعكس إحساس الفرد بالاغتراب على هوية الفرد، حيث يتحدد مفهوم الاغتراب في الشخصية بضعف أحاسيس الشعور بالهوية والانتماء والشعور بالقيمة والإحساس بالأمن.

وتحت طائلة مجموعة من الإكراهات التي يعاني منها أبناء المجتمعات العربية تتنامى موجة الاغتراب، وتنمو حالات من فقدان الإحساس بالانتماء للذات الحضارية يتولد عنها إحساس بالضياع والتفكك في مستوى العلاقة مع الذات تعمق من أزمة الهوية لدى الأجيال الشابة في تلك المجتمعات(بلغيث، ٢٠١١، ٣٨٤).

وثمة أسئلة يطرحها المفكرون حيال إشكالية الواقع الاغترابي للإنسان في ضوء تقدم ثقافي هائل واغترابي في الآن الواحد تفرضه العولمة الإعلامية، والإجابة هي أن ذلك الاغتراب يأخذ طابع الشمول تحت مطارق التحول المذهل في مختلف ميادين الوجود، وأن تلك العولمة تسحق الإنسان وتشيّئه وتغربه وتدمر معانيه الأخلاقية والإنسانية (وطفة، ٢٠١٢، ب١١١)

لقد شهدت المجتمعات العربية تحولات سريعة واكبت العولمة الإعلامية. وكان لهذه التحولات آثارها على منظومة القيم حيث تشوهت قيم الذات ومعايير التقويم والتخلي عن قيم اجتماعية أصيلة واستبدالها بقيم اجتماعية سلبية لإشباع حاجاتها والمحافظة على بقائها.

وكان من آثار تلك العولمة شيوع ظاهرة العزلة الاجتماعية، حيث ظهرت سلبية المواطنين العرب وانسحابهم عن قضايا المجتمع ومشكلاته والانشغال بهموم الحياة الفردية والأسرية، إضافة إلى العزوف عن المشاركة الفعّالة في المؤسسات الاجتماعية المختلفة.

لقد عززت العولمة الإعلامية تسارع نمو الفردانية في المجتمع في مختلف تجليات الحياة الإنسانية المعاصرة، وأخذت معها الهوية الفردية والاجتماعية تتعرض لعملية تفكك وإعادة بناء، وصارت تتشكل بصورة جديدة عبر أولويات فردية في طبيعة العلاقة بين الإنسان وثورة المعلوماتية (وطفة، ٢٠٠٢).

وأحدثت التغيرات التي تعيشها المجتمعات العربية تغيرات في مفاهيم وقيم الإنسان العربي بوجه عام والشباب بوجه خاص، حيث عانى من التحولات والتبدلات السريعة التي أحدثتها العولمة الإعلامية، وانعكس ذلك على تغير نظرة الشباب لكثير من الأمور الواقعة في حياته، وأصبح لديه توجهات وتطلعات وقيم لم تكن لديه من قبل، وحينما واجه ضعفا في عدم القدرة على مواكبة تلك التغيرات، حدث لدى بعضهم انعزال عن الواقع، وأصبح يعاني من الاغتراب، فضلا عن عدم تقدير لذاته بشكل صحيح. وهذا ما أفرز وعمّق لديه من مشكلة الهوية، خاصة في جانبها الثقافي(الأحمد، ٢٠١٠، ١٧٢)

٥. العولمة الإعلامية وثقافة الاستهلاك

منذ أن ظهر الإعلان في العالم وهو يفرض تأثيره الشديد وقوته الكبيرة. ولم تعد المواد الإعلانية مجرد كلمات جميلة منمقة، ورسوم جميلة أخاذة، وحركات مؤداة بعناية فائقة، بل أصبح أداة توجيهية فاعلة تستعين بعدد من العلوم المختلفة، للتأثير في المستقبلين لهذه المواد، ووسيلة تستخدمها الجهات المعلنة لتحقيق أهداف مختلفة تصب جميعها في خدمة أغراضها، والوصول إلى غاياتها، وإحداث الأثر المنشود والمطلوب في شتى الشرائح المستهدفة.

ويربط الباحثون ازدهار الإعلان وتطور استخداماته بالتطور الذي شهده المجتمع الصناعي، وبفائض الإنتاج في ذلك المجتمع، الذي تطلب الترويج للسلع والمواد المنتجة بشتى السبل تجسيدا للمعادلة الاقتصادية التي تربط جدليا الاستهلاك بالإنتاج، وعمل على تكيف الممارسات الاجتماعية مع الرموز الثقافية التي يريدها بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وكلما واجهت المجتمعات الصناعية أزمات متباينة، اتجهت إلى تكثيف المواد الإعلانية باعتبارها المحرك لعجلة الاقتصاد، والوسيلة للحد من هذه الأزمات(بدران، ٢٠٠٨، ١٥١).

وتعتبر الثقافة الاستهلاكية أحد التحديات التي تقف أمام بناء المجتمعات العربية، لأنها ستؤدي إلى مزيد من التبعية التكنولوجية، وتجعل الفرد مستهلكا غير منتج وتشكل لديه قيم التواكلية والرغبة في الكسب السريع بأقل مجهود وتضعف روح النقد والإبداع لديه(الضبع، ٢٠٠٨). وفي دائرة هذه الثقافة الاستهلاكية يفقد كل نشاط أو فعل يعتمد على التأمل والتعقل والنظر والصبر والانتظار قيمته ودلالته ومعناه. وهذا يعني أن كل النشاطات الإنسانية التي لا ترتبط بالاستهلاك واللذة والسرعة تصبح مدعاة للسخرية والازدراء والاحتقار (وطفة، ٢٠١٢، ب ١٢٣)

لقد أدت العولمة الإعلامية على الترويج للثقافة الاستهلاكية في الوطن العربي، والتأثير على الهوية الثقافية لأبنائه، عبر آلة تجارية وإعلامية رهيبة لا حدود لإمكاناتها، وهذا أدى إلى تشويه البنى التقليدية للأمم وتغريب الإنسان، وعزله عن قضاياه الحقيقية، وتشكيكه في جميع قناعاته الوطنية والقومية والدينية، من أجل إخضاعه نهائيا للقوى الغربية المسيطرة(مراد، ٢٠٠٧)

كما أدت تلك العولمة إلى شيوع ثقافة الاستهلاك المظهري، وسيادة قيم الاستهلاك الترفي، وزيادة التقليد والمحاكاة والميل المتزايد للتطلع أو الظهور بالانتماء إلى طبقة أعلى من الاجتماعي، فلم يعد الاستهلاك قيمة مقابلة لقيمة الإنتاج بل أصبح وسيلة لتحقيق طموحات طبقية وتمايزات اجتماعية(الأحمد، ٢٠١٠، ١٧٦)

إن المجتمع العربي يشاهد دون انقطاع هذا المدّ المستطير للدعاية والإعلان والصورة في القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، ومن ثم يذهب كل فرد من أبنائه إلى الأسواق بمطواعية من أجل شراء المواد التي ارتسمت في تلك الإعلانات، ليشكل ذلك كله ثقافة استهلاكية عامة تحكم الجميع وتسيطر عليهم.

وأوجدت العولمة الإعلامية لدى الشباب العرب بصورة خاصة أنماطا استهلاكية جديدة لعل من أبرز مظاهرها انتشار المقاهي ومطاعم الوجبات السريعة، وما ينجم عن تجمعهم حولها من سلوكيات سلبية، فضلا عن انتشار الألعاب الإلكترونية التي تسعى إلى تكريس قيم غربية تخالف القيم العربية في نفوس الأفراد، وتثير نوازع العنف والجنس لدى الشباب (الأحمد، ٢٠١٠، ١٨٦).

ثالثاً: الدراسة التحليلية لتأثيرات العولمة الثقافية على الهوية الثقافية

١- الهيمنة الثقافية الغربية ومحاولة تهميش الثقافة العربية

تعمل الثقافات الغربية وفي مقدمتها ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية بما تملكه من إمكانات هائلة تستطيع من خلالها النفاذ إلى ثقافات الدول الأخرى على فرض هيمنتها ونفوذها الثقافي، باعتبارها النموذج الأمثل – من وجهة نظرهم - الذي يحقق للفرد ما يطمح إليه في القرن الحادي والعشرين، متخطية بذلك جميع الخصوصيات الثقافية المختلفة، من خلال استغلالها لتفوق المجتمعات التي صدرت عنها تلك الثقافة، ومستغلة أيضا الضعف الملحوظ لمعظم المجتمعات وخصوصا دول العالم الثالث، وهي بذلك تحقق أهدافا شتى من أبرزها ضمان تسويق المنتجات الثقافية التي أصبحت من أهم الصناعات التي تؤثر في الاقتصاد والدخل القومي للأمم المتقدمة (العطفي، ٢٠٠٦، ١٠٥).

كما تهدف من ذلك أيضاً إلى إقصاء بعض القيم الأصيلة في ثقافات الشعوب كقيم المواطنة، والالتزام بالإطار العام للثقافة السائدة في المجتمع، وذلك ضمانا لإنجاز عولمة العالم، وبذلك يتحول الإنسان إلى أسير لما تطرحه ثقافة العولمة مهملاً بذلك ثقافته الأصيلة.

وقد أصبحت ظاهرة التهميش الثقافي ظاهرة عالمية تشكو منها دول أوروبية متقدمة "الأمر الذي دفع أحد وزراء الثقافة الأوروبية إلى المناداة بحرب مقدسة ضد هذه الإمبريالية الفكرية التي تغزو العقول، وتملك أنماط التفكير وأساليب الحياة، فمنذ بداية التسعينات صدرت كتب عديدة في الدول الأوروبية تحذر من سطوة الثقافة الأمريكية على الثقافات الوطنية لهذه الدول؛ ففي فرنسا على سبيل المثال كتاب (هنري جوبار: الحرب الثقافية والآخر)، وكتاب (جان تيبو: فرنسا المستعمرة) والكتابان يحذران من مخاطر التهميش الثقافي لفرنسا والدول الأوروبية الأخرى وتهديده لهويتهما الثقافية " (حوات، ٢٠٠٢، ١٧٦).

وتعتبر الهيمنة الثقافية أمراً واقعياً في ظل ارتباطها بقوة الجانب الاقتصادي، فالارتباط الوثيق بين جانبي العولمة الاقتصادي والثقافي يعني أن من يملك مقومات وتكلفة عناصر الإنتاج والإنفاق هو الذي يستطيع بسهولة ويسر أن يفرض ثقافته على الجانب الآخر، الذي ربما يؤدي به حاله إلى العجز حتى عن وقاية نفسه من تأثيرات هذه الثقافة (محمود، ٢٠٠١، ١٣).

وتتحمل المنظومة الإعلامية العربية جزءً كبيراً من مخاطر السلبيات التي تتعرض لها البلاد العربية نظرا لضعف تلك المنظومة، " فعلى الرغم من استخدام أحدث تكنولوجيا الإعلام الغربية في الإعلام العربي، إلا أن ذلك جاء دون تطوير في المضمون ودون توفير الطاقات البشرية المؤهلة للتعامل معها، حيث تتجه سياسات الإعلام في أقطار عديدة إلى الاستثمار في مجالات البني والمرافق والأجهزة، على نحو يفوق الاهتمام بالاستثمار في إعداد الكوادر البشرية، أو تطوير القدرات الإنتاجية مما يضاعف أشكال التبعية لدول الشمال" (العطفي، ٢٠٠٦، ١٠٧، ١٠٨)

٢- التفاعل الثقافي

قد يؤدى التفاعل الثقافي إلى قوة ونمو الهوية، وقد يؤدى إلى ضعف واضمحلال للهوية الثقافية، كذلك في التفاعل يتضمن التأثير والتأثر أي الفعل الانفعال، والهدف المحوري للجانب السلبي من التفاعل الثقافي هو الحيلولة بين شعوبٍ الأمة العربية وبين عناصر بناء ذاتها وذلك يجعلها في حالة دائمة من الاغتراب كما نجد أيضا عملية تشوبه صورة الإسلام وصورة العرب والمسلمين وعملية هدم اللغة العربية وإحلال العامية محلها بجانب اللغات الأجنبية (محمد، ١٩٩٤، ٢٣١، ٢٣٢).

إن السماوات المفتوحة الآن بسبب الثورة المعلوماتية هي الإثبات الحقيقي على أن كل شعب له خصوصيته الشديدة، ومساحات رهيبة وشاسعة من الاختلافات كلما تعرف على الغير، أو "الآخر" (فتح الله، ٢٠٠٤، ٢٢).

والهوية الثقافية تتعرض لتهديد شديد في ظل عولمة أعطت لنفسها الحق في السيطرة على ثقافات الآخرين وتغيير ملامح خصوصيتها، يريدون أن يكون الآخرون عالميين بلا مكان وبلا تاريخ (علي، ٢٠٠١، ٤٥، ٤٦).

والتأثر بالتيارات الجديدة والتجاوب السريع معها، يفتح السبيل أمام تسرب البدائل التي يقدمها التفاعل الثقافي. وهى بدائل لا تخدم قطعاً أهدافٍ الانتماء والهوية الثقافية، بل ترمى إلى زعزعة الروابط بالأصالة وتقطيع أوصال التاريخ وصولاً إلى الصهر الثقافي والأتباع (الجعفري، ٢٠٠٢، ١٣٥).

ويقول "روجية جارودى" "إن الثقافة الغربية تحاول فرض ثقافتها على الآخرين عبر الآليات التي تمتلكها وتحتكرها، في الوقت الذي ينبغي لها أن تتواضع وتقبل الحوار المتكافئ مع الآخر حتى يمكن لها أن تعيد التوازن المفقود" (النشار، ٢٠٠٣، ١١٥).

ويشير "أباد وراى" Abadory إلى أننا قد ندرك خمسة أبعاد للتدفقات الثقافية العالمية التي تتحرك في مسارات غير متماثلة وهى:

نطاقات عرقيةٍ يفرزها الناس والسواح والمهاجرون واللاجئون والمنفيون والعمالة الأجنبية المؤقتة وهذا يمثل بعدا ثقافيا.

البعد الاقتصادي والذي يتمثل في تدفق الآلات والمصانع الذي تفرزه الشركات القومية والمتعددة الجنسيات.

والبعد السياسي والاجتماعي يمثل نطاقات أيديولوجية ترتبط بتدفق الصور ويتكون من عناصر الرؤية العالمية للتنوير الغربي وصور الديمقراطية والحرية والرخاء والحقوق.

وهناك نطاقات إعلامية تتمثل في ذخائر الصورٍ والمعلومات، وهو تدفق تفرزه وتنشره الصحف والمجلات والتليفزيون والسينما ويمثل بعدا ثقافيا أيضا.

وهناك نطاقات مالية يفرزها التدفق السريع للمال في أسواق العملات وتبادل الأوراق المالية. وهذا بعد اقتصادي (فيدرستون، ٢٠٠١، ٨).

وتسعى الفئات الرأسمالية إلى توظيف العلم للاختراق الثقافي والهيمنة على الثقافاتٍ التقليدية للآخرين بهدف طمس هوية الشعوب، وقد تعددت آليات هذه السيطرة كما وكيفا بين ثقافة قومية أخرى. ولا شك أن المتابع للبرامج التي تبثها الإذاعات المختلفة . حتى العربية منها . يلاحظ بوضوح إظهار تفوق الحضارة الغربية، وتغلغل قيم الرأسمالية في المؤسسات الوطنية ذات الصلة بالثقافة، مناهج المدارس والجامعات ومراكز البحوث كلها تشير إلى ذلك

ولذا فإن الثقافات الأضعف لا تجد أمامها إلا التفكك والانهيار مما يشكل إشكالية على صعيد الهوية وعلى نمط الحياة الاجتماعية. إن فقدان الاستقرار يشكل المصدر الخفي لضياع المجتمع وتجزئته (حجازي، ٢٠٠١، ٣٢، ٣٣).

ومن آثار التفاعل الثقافي، تقليد الغربيين في عاداتهم وأخلاقياتهم ومعاشراتهم الاجتماعية ونشأ عنها الابتعاد عن الآداب والقيم الأخلاقية الإسلامية. وأيضا الافتتان بالثقافة الغربية وبمفكريها ومناهج تفكيرهم. ونشأ عن ذلك الاهتمام بالثقافة الغربية وبالدراسات الغربية ومناهج تفكير الغربيين.

وإن السبب في انقياد الشباب نحو التقليد هو الشعور الكامن بداخلهم بأن الغرب هو الأقوى والأفضل والأكثر مسايرة للتقدم والموضة والتحديث، فهو يخشى من تجاهل الالتزام بما يفعله بدءا من السلوك والملابس ونوعية الطعام والأكلات السريعة وطريقة التحدث والألفاظ الأجنبية ونمط الحياة التي تسللت إليه. هذا الشعور بالتفوق الغربي يقابله شعور داخلي لدى الشباب بالخواء النفسي، لأن حقيقة الإيمان لا تعمر قلوبهم بسبب ابتعادهم عن التقرب إلى الله من هدوء نفس واطمئنان وشعور بالقوة والثقة في سلوك المسلم وزيه وطريقة تعامله مهما كانت لا تعجب الآخرين ولا تساير موضات الغرب، لذا فإن شبابنا مهدد بخطر الانبهار بالنماذج الغربية ولا يحاول أن يستفيد من أي جانب إيجابي أخر ولا يفعل سوى السيئ منها (عامر، ٢٠٠٤، ١٠).

٣- الشعور بالاغتراب والاستلاب الثقافي

الاغتراب Alienation هو اضطراب نفسي يعبر عن اغتراب الذات عن هويتها، وبعدها عن الواقع، وانفصالها عن المجتمع. وهو غربة عن النفس، وغربة عن العالم، وغربة بين البشر.

ويقال عن الاغتراب أنه حالة من الانفصال بين المرء والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.

والتغريب الثقافي cultural estrangement هو ابتعاد الإنسان عن ثقافة مجتمعه التي نشأ فيها، ورفضها والنفور منها أو الانفصال عنها، والانبهار بكل ما هو غريب أو أجنبي على ما هو محلى. وهو أحد مظاهر الاغتراب العام (سري، ١٩٩٣، ٧٩، ٨٠).

إن حالات الاغتراب والاستلاب الثقافي موجودة في الوطن العربي حتى قبل ظهور العولمة على المسرح السياسي الدولي. فقبل خمسين عاما كانت نسبة العرب الذين لهم علاقة بما ينتجه الآخرون من سلع أو من أفكار متواضعة جدا أما الآن فإن منتجات التكنولوجيا لم تترك أي مكان إلا ودخلته (التير، ١٩٩٩، ٢٧).

والحقيقة أن أي تقدم علمي أيا كان نوعه إنما يحقق للإنسان نتائج إيجابية وخيرة بقدر ما يثير من تحفظات وبقدر ما يمكن أن يترتب عليه من نتائج سلبية تؤثر في أخلاق الإنسان وسلوكه. لا أحد يرغب في إيقاف البحث العلمي عند حدود معينة طالما أن الأبحاث تسير في اتجاه يخدم الإنسان (النشار، ٢٠٠٣، ١٥٩).

والعصر الحديث هو عصر العلم والثقافة السائدة هي الثقافة العلمية، والإنسان المثقف هو الإنسان الذي يواكب حركة مركز العلم ويستوعب مناهجه ونتائجه وتطبيقاته في الحياة المعاصرة واستخدام هذه المناهج في ارتياد مجالات الثقافة الأخرى بما في ذلك الإنسانيات. إن التقدم العلمي والتكنولوجي يحتم على إنسان العصر الحديث الاهتمام بالثقافة العلمية وهذه الأمور ميسورة للإنسان بفضل ما تحمله وسائل الإعلام المختلفة من معلومات ومستجدات العصر الذي تسوده الثقافة العلمية (أبو زيد، ٢٠٠٥، ١٤٠، ١٤١).

٤- الازدواجية الثقافية

يعتبر مبدأ الازدواجية الثقافية أهم بكثير من مبدأ التعددية السياسية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموما. لأن التعددية السياسية تنصب فقط على التنافس من أجل السلطة أما الازدواجية الثقافية إذا ما تم إذكاء الخلاف بين أطرافها وإذا أسيء استخدامه فإنه قد يؤدى إلى تفجير المجتمع والكيان السياسي القائم وظهور دويلات ووحدات سياسية جديدة

وذلك على الأغلب هو أفضل الأوضاع في ظل النظام الدولي الذي يسعى فيه رأس النظام بقدر ما في وسعه إلى التقليل من حجم وفاعلية وحداته السياسية (السنوسي، ٢٠٠٠، ١٩٤، ١٩٥).

إن الازدواجية الثقافية في المجتمع . من وجهة نظره . لا تمثل الثقافات الفرعية التي نسميها Subcultures، فهناك الازدواجية الدينية لا شك في ذلك. . ولها مشاكلها، ولها صراعاتها، ولها مقاومتها، ولكن هناك أيضا ازدواجية نستطيع أن نسميها (إقليمية) بالمعنى الجغرافي، وبالمعنى الثقافي الفرعي. وهذه تعتبر ازدواجية داخلية (عبود، ٢٠٠٢، ١٥٩، ١٦٠). إن العربي يعايش اليوم ثقافتين متناقضتين، غير متكافئتين، ثقافة تراثية مفعمة بالمواطنة والأصالة، وأخرى تغريبية، تسلبه المحلية والتراث.

ثقافة الغنى والرفاهية، وثقافة المعاناة والعوز. . بين ثقافة المادة والمظهر، في مقابل مبادئ الروح والعقيدة والتأمل. . ثقافة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وممارسات قهر من الحكومات والسلطة. . ثقافة تبدو في المكان بعيدة، وبين حضورها القريب في كل مكان، وثقافة الخصوصية والتفرد. . وثقافة العامة التي هي في متناول الجميع، والموحد في النمط والدرجة وأسلوب الحياة والتفكير، بين ثقافة الوحدة العالمية في المكان. والانفصالات الإقليمية الجغرافية. . وبين ثقافة الذات والانتماء، وثقافة الاغتراب والانبهار بالغرب. . ثقافة المغايرة في تعدد الثقافات المطروحة، والمسايرة والانصياع لعالم جديد. . ثقافة الكتمان والتستر والصمت، وثقافة الشفافية والانكشاف على أضواء التكنولوجيا والإعلام ويضاف إلى ذلك ظهور مفاهيم أخرى مثل الشرق والغرب، الشمال والجنوب (يس، ١٩٩٥، ١٩).

وفى المجتمعات متعددة العرقيات التي ولدتها حديثاً حركات الهجرة بعد الاستعمارية، تزداد مشكلات الازدواجية، فليس في هذه المجتمعات من تاريخ قومي، وتراث ثقافي ولغة مشتركة بين الجميع. وفى معظم الحالات يكون للمهاجرين روابط أسرية وثقافية ودينية وعاطفية من خارج المجتمع الذي أصبحوا يعيشون فيه. وإن الازدواجية الثقافية كمظهر مظاهر التعدد العرقي والقومي تصطدم بالقوى والمفاهيم التمييزية للعرقية والقومية (ميتر، ١٩٩٢، ٣٨).

أن تداخل الثقافات وتأثير الحضارات بعضها من بعض كان يتم في الماضي بصورة تلقائية طبيعية، وفي الغالب عن طريق التقليد بالاحتكاك والجوار. أما في الحضارة المعاصرة فالأمر يختلف تماما، فالحضارة الأوربية الحديثة تجاوزت حدود الاتصال التقليدي. التلاقح الطبيعي وجعلت من ظاهرة "تداخل" الثقافات اختراقا من جانب واحد وفى اتجاه واحد. إذا جعلت فئة سياسية واستراتيجية ولذا فإن ظاهرة الاختراق الثقافي قديما تمثل (الاستشراق، والإرساليات التنصيرية) وحديثا تمثل (الاستنباع الحضاري) (الجابري، ١٩٩٤، ١٩٧، ١٩٨).

فالغربة الثقافية. . والاستلاب الثقافي. . والنقل والتقليد، وشيوع السلوكيات الاستهلاكية والذوبان في ثقافة واحدة تغزو العالم. . كلها من العوامل السلبية التي تحول دون التنمية الحقة كما أنها تنأى عن هدف التنمية النهائي وهو بناء الحضارة الذاتية التي لا يستقيم بناؤها إلا بأبنائها أنفسهم (الخميس، ١٩٩٣، ٤٤).

ومثل الانغلاق مثل مقابلة الاغتراب، إن ثقافة الاختراق أعنى أيديولوجية الارتماء في أحضان العولمة والاندماج فيها ثقافة تنطلق من الفراغ، أي من اللاهوية وبالتالي فهي لا تستطيع أن تبنى هوية ولا كيانا (الجابري، ١٩٩٤، ٣٠٦).

وتعد الهوية الثقافية التي تنطلق منها الأمة لتؤدى دورها الإنساني وتشارك في بناء الحضارة، من خلال تجاربها، وإمكاناتها، وإبداعاتها تتيح لها المساهمة في إعمار الكون في مختلف المجالات، ويحمل معنى الهوية الثقافية صفات تراكمت تاريخيا تعطى للأمة مفهومها وماهيتها وخصوصيتها، توصف بأنها النواة أو العقل الجمعي للشخصية الفردية والجماعية. . وفى هذا الإطار يكون الحفاظ على الهوية الثقافية ضرورة وغاية لكل أمة نتج عنه خوف من التغيير

وإدخال أشكال وقيم ثقافية جديدة والانفتاح والتعامل مع الثقافات الأخرى. الأمر الذي أدى إلى الصراع بين الأصالة والمعاصرة، وما ارتبط بها من ثنائيات مفاهيمه كالموروث والوافد الإسلامي والقومي والمجلس والدوى والإقليمي والعالمي (عثمان، ٢٠٠٣، ١٤٣).

وقد نجح النموذج الغربي في تكوين ذيول ثقافية في الدول النامية تروج لفلسفة العلوم الغربية التي تدعو إلى تهميش دور الدين وإبعاده عن دائرة التأثير وتطوع هؤلاء المبهورون بكل ما هو غربي لنشر ثقافة التغريب والدعوة إلى مقاطعة الماضي الذي لم يجدد فيه شيء على الإطلاق يفيد حاضرنا أو مستقبلنا، مستخدمين في ذلك لما يتاح من أدوات ومنافذ في أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية (باشا، ٢٠٠٠، ١٤٤).

والعولمة في المجال الثقافي تنطوي على ظهور المجتمعات المتعددة الأعراق، والمتعددة الثقافات، وتكوين صناعات الاتصالات العالمية، وجعل التدفقات الرمزية تتخطى الحدود القومية، وانتشار الصراعات بين الحضارات والمجتمعات الملتفة حول معتقداتها وقيمها وتقاليدها (بروثر، ٢٠٠١، ١٦٢).

إن السياسات العالمية ساهمت في خلق أزمة ثقافية ونوع من اللامعيارية أو الاغتراب وهو ما يعبر عنه بوضوح سلوك وتصرفات فئة الشباب والتي تظهر في شيوع الفراغ الثقافي وسيادة الثقافة الغربية، وانعدام العقلانية ومن ثم إضعاف للهوية الوطنية وفتور الانتماء والولاء للثقافة الأم (صيام، ٢٠٠٢، ١٧٨).

وقد أثار التدفق الإعلامي والثقافي القادم من الولايات المتحدة الأمريكية قلق دولة عريقة في ثقافتها في أوروبا الغربية مثل فرنسا وأصبحت في موقف المدافع عن هويتها وثقافتها. فلقد علق "شارل ألبير ميشالية" Sharl Albeer Meshalea على هذه الظاهرة الإعلامية بأنها من أخطر الظواهر تهديدا للأمن الثقافي والأيديولوجي والوحدة والهوية القومية داخل الإقليم الوطني للدولة (البطريق، ١٩٩٩، ١٠٦).

٥- الأسرة

تقوم بالأسرة بدور أساسي وفعال في تنشئة الفرد ورعايته بيولوجيا واجتماعيا وتعمل على غرس العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية والسلوكية ومن ثم كان لمستوى الأسرة الثقافي والاجتماعي والاقتصادي الأثر الأكبر في تكوين شخصية الفرد وتشكيل هويته (الشيبني، ٢٠٠٠، ٤٨).

إن أنماط الأسرة وأشكالها البنائية وعلاقاتها ووظائفها تشابكت وتفاعلت مع صيرورة التطور الاجتماعي والاقتصادي المتفاوت في عمقه وإيقاعاته فجعلت أسر عدد كبير من المجتمعات تنتقل من الشكل البنائي الموسع أو "الممتد" "Extended" إلى الشكل البسيط أو الصغير "النووي" الذي نقلها من وحدة اجتماعية اقتصادية ثقافية ذات وظائف شاملة إلى جماعة شبه متخصصة في الإنجاب والتنشئة المبكرة، وبرزت مشكلات نفسية واجتماعية لأعضاء من الأسر نتيجة الدخول في العولمة مثل اغتراب الشباب الناتج عن دعم التكافؤ بين ثورة التطلعات والمفاهيم والقيم التي يتزايد دور الاتصالات الكوكبية في كثافتها وبين الفرص المتاحة لإنجاز الأهداف ولعل من مظاهر ومصدر الاغتراب لدى الشباب فقدان القوة Power lessens نتيجة للانفصال المتزايد بين ما حصله من تعليم وبين المتطلبات السريعة التغير والتجدد لأسواق العمل والذي تدلل عليه زيادة معدلات البطالة (عبد المعطي، ٢٠٠١، ٦١، ٦٢).

ومما هو جدير بالذكر أن للعولمة مخاطر على الأسر تتمثل في نقص أوقات التفاعل بين أفراد الأسرة نتيجة انشغال الأبوين في العمل، حيث نجدهم يستغرقون أوقاتا طويلة خارج المنزل،

أو قد يكون نتيجة سفر أو هجرة أحد أعضاء الأسرة الأب أو الأم إلى خارج البلاد بحثاً عن مزيداً من سعة العيش مما ينعكس سلباً على عملية التفاعل الأسرى.

ومن هنا يشتد الحنين لدى الإنسان المعاصر إلى خصوصية حينما يحيا في بيئة متشابكة وخالية من الخصوصية أو الهوية الذاتية ولذلك كان لابد من أن يعود الأسرة إلى دورها الأساسي في تربية النشء وأن تحافظ على تماسكها وكفاءة وظائفها وتحقيق التوازن بين الفردي والجماعي وبين التقليدية والحداثة وما بعد الحداثة وما بين الأجيال داخل الأسرة وعلى مستوى المجتمع فهي تمثل خط دفاع قوى أمام آليات الاستبعاد الاجتماعي وأنماط الاستهلاك الثقافي ومحاولات إضعاف الهوية الثقافية الذاتية، وذلك بغرس قيم الولاء للمجتمع وثقافته والتمسك بالقيم الدينية الأصيلة الصالحة لكل زمان ومكان (عبد الرحمن، ٢٠٠٦، ٨٤).

الخاتمة

في الوقت الذي تتعرض فيه الأمة العربية لعولمة كاسحة في جميع مجالات الحياة، تحمل معها أخطارا كبيرة على الأفراد والجماعات، تبدو الحاجة ملحة للتأكيد على الهوية والخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية، وتعزيز ذلك وتمثله في جميع مظاهر الحياة.

ومع انتشار ثورة المعلومات ومجتمع المعرفة، صارت تلك العولمة تشكل وعي الإنسان ونظامه الإدراكي، وتسيطر عليه بوسائل خفية مستترة وعلنية، ومن ثم تستلب تفكيره، وتبعده عن هويته الثقافية، وانتمائه الوطني، وارتباطه بالقيم التي نشأ عليها في مجتمعه المحلي.

لقد أصبحت العولمة الإعلامية واقعا ملموسا يجب التعامل معه بموضوعية ومنطقية، فلا التهرب منها والابتعاد عنها والنأي بأنفسنا عن تبعاتها أمر مجد أو مفيد، ولا التوغل الشديد فيها والانغماس الكلي في مضمونها والذوبان في مكنوناتها أمر نافع ومثمر أيضا.

إن ما تمثله العولمة الإعلامية من انتشار فكر وثقافة موحدة بين المجتمعات في دول العالم، وتعزيز للنمط الاستهلاكي أو الفكر الاغترابي، أو النزعات الطائفية، أو تهديد للغة، بات يمثل خطرا كبيرا على الثقافة والقيم في تلك المجتمعات، وبخاصة النامية، ومنها المجتمعات العربية، التي باتت تتأثر بصورة بالغة بتلك العولمة، ولاسيما بآثارها على الهوية الثقافية العربية.

و لا تدخر تلك العولمة الإعلامية جهدا في محاولة زعزعة منظومة القيم العربية المحلية، و الهوية الثقافية للمجتمعات العربية، وتنميط الثقافات المحلية، و تفكيك التراث الثقافي والمادي والموروث الشعبي العربي، وتسويق قيم ثقافية و مبادئ و سلوكيات تتنافى مع القيم المتعارف عليها، وهو ما يستدعي تحركا و تنسيقا بين جميع المعنيين من أجل وضع حد لهذه الهجمة العولمية، وصد محاولات الاختراق الثقافي لهوية المجتمعات العربية.

وفي ضوء ما سبق يمكن إيجاز بعض النتائج على النحو التالي:

- تمثل العولمة الثقافية تحدياً كبيراً للثقافة العربية.
- تتعدد الآليات التي تتبعها العولمة الثقافية في نشر ثقافتها كالغزو الفكري والاستشراق وغيرهما.
- تؤثر العولمة الثقافية سلباً على اللغة العربية والعادات والتقاليد وبقية مكونات الثقافة بالمجتمعات العربية.
- تركز العولمة الثقافية بصورة مباشرة على الشباب باعتبارهم الشريحة الأكثر عرضة لمنتجاتها في المجتمعات العربية.
- تتطلب مواجهة العولمة الثقافية تكاتف جهود كافة الفئات والمؤسسات المجتمعية.

- تتطلب مواجهة العولمة الثقافية العمل على تنمية الوعي بتحدياتها وتحصين أفراد المجتمع بعقد الندوات والمؤتمرات المخصصة لذلك.

التوصيات

- التوعية بمخاطر العولمة الإعلامية وسلبياتها عن طريق عقد الندوات والمؤتمرات التي تسهم في ذلك.
- العمل على تنمية الهوية الثقافية لدى الشباب من خلال المناهج الدراسية والبرامج التدريبية والندوات التي تسهم في ذلك.
- ضرورة تفعيل الضوابط والتعليمات والقوانين والتشريعات لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي بحيث تتوافق مع التربية والثقافة الاجتماعية التي تجرم الاستخدام السيئ للشبكات.
- توجيه الشباب نحو استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في خدمة قضايا الأمة والنهوض بها.
- ضرورة تعميق الارتباط بالتراث الثقافي وتاريخ العرب والمسلمين.
- إنشاء جهة رقابية على الصفحات العربية العامة بحيث تنبه إلى كل ما يشكل خطر على النشء والشباب.
- ضرورة التمسك بالقيم والثقافات الموجودة في المجتمع باعتبارها نتاجاً لتفاعل تاريخي وحضاري بعيد المدى مع التشديد على أهمية إقامة وتقوية شبكات الاتصالات والمعلومات بين البلدان العربية.
- مقاومة محاولة إضعاف اللغة العربية والقضاء على جميع أشكال السيطرة الثقافية وآثارها.
- تطبيق فكرة التعلم المتوائم الذي يمكن بواسطته تحقيق التكامل بين الخصوصية الثقافية ومتطلبات المنظومة الثقافية العالمية.
- ضرورة تعزيز الهوية الثقافية وإبراز الهوية الحضارية الإسلامية وتنميتها والمحافظة عليها.
- ضرورة أن تعنى أجهزة الإعلام والثقافة عند إعداد موضوعات البرامج الإذاعية والتلفزيونية بأحداث تاريخية أو بطولات وطنية وما يتعلق بالتراث.
- ترسيخ الاعتزاز بالإسلام وبالوطنية وبالعروبة على أساس أنها ليست خطوطاً متباعدة وإنما على أساس أنها دوائر متكاملة ومترابطة.
- ضرورة تدريس موضوعات في اللغة العربية كمقرر له دور في المحافظة علي اللغة القومية، وتدريس مقرر في اللغة الانجليزية يساهم في متابعة المستجدات العالمية المعاصرة.

المقترحات

- مستوى وعي طلاب الجامعات بالتحديات الثقافية للعولمة وتصور مقترح لتعميقه.
- تصور مقترح لمواجهة تحديات العولمة الثقافية بالمجتمعات العربية.
- دور الجامعات في مواجهة تحديات العولمة الثقافية.
- واقع الوعي الثقافي لدى بعض المجتمعات العربية وآليات تعميقه من وجهة نظر رؤساء بعض الجامعات العربية.

المراجع

المراجع العربية

١. إبلاغ، عناية الله (٢٠٠٠): **الإعلام الإسلامي**: خصائصه وأهدافه، ط ١، عالم الفكر، الأزهر.

٢. أبو زيد، أحمد (٢٠٠٥): **الثقافة الثالثة والعلمية والتكنولوجية**، مجلة الهلال، دار الهلال، القاهرة، العدد ١١٣، يناير.

٣. الأحمد، عبد العزيز (٢٠١٠): **أزمة الهوية لدى الشباب الجامعي الكويتي في ظل التغيرات والتحديات المعاصرة**، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت.

٤. أحمد، عزت السيد (٢٠٠٠): **انهيار مزاعم العولمة**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

٥. أنيس، إبراهيم، وآخرون (١٩٨٢): **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة.

٦. باشا، أحمد فؤاد (٢٠٠٠): **الإسلام والعولمة مفاهيم وقضايا**، كتاب الجمهورية، يوليو.

٧. بدران، عبد الله (٢٠٠٧): **الفنون الخبرية في وكالات الأنباء**، ط ١، دار المكتبي، دمشق.

٨. بدران، عبد الله (٢٠٠٨): **الإعلام البيئي**، ط ١، دار غار حراء، دمشق.

٩. بروثر، خوسية جواكين (٢٠٠١): **العولمة والتعليم والثورة التكنولوجية**، ترجمة محمد البهنسى، مستقبليات، العدد ١١٨، يونيه.

١٠. البطريق، نسمة أحمد (١٩٩٩): **التليفزيون والمجتمع والهوية الثقافية**، الهيئة المعربة العامة للكتاب.

١١. بلغيث، سلطان(٢٠١١): **تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر.

١٢. بن خيرة، نجيب (٢٠١٠): **اللغة العربية واختراق الهوية في عصر العولمة**.. مقاربة ثقافية، موقع الملتقى نت.

١٣. التويجري، عبد العزيز (1997): **الهوية و العولمة من منظور حق التنوع الثقافي**، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو)، الرباط، المغرب.

١٤. التير، مصطفى عمر (١٩٩٩): اله**وية الثقافية العربية والتعليم العالي في الوطن العربي في ظل العولمة**، لبنان، مجلة الفكر العربي، العدد السابع والتسعون، السنة العشرون.

١٥. الجابري، محمد عابد (١٩٩١): **التراث والحداثة**، مركز دراسات الوحدة العربية،، بيروت.

١٦. الجابري، محمد عابد (١٩٩٦): المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

١٧. الجابري، محمد عابد (١٩٩٨): **مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة الثقافية**، مجلة الكلمة، العدد ١٨، السنة ٥.

١٨. الجابري، محمد عبد (١٩٩٤): **المسألة الثقافية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نوفمبر.

١٩. الجرجاني، علي بن محمد (١٩٩٥): **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠. الجعفري، ممدوح عبد الرحيم، وآخرون (٢٠٠٢): **الأصول الفلسفية والاجتماعية للتربية**، شركة الجمهورية الحديثة لتمويل وطباعة الورق، القاهرة.

٢١. جيدوري، صابر (٢٠١٢): **دواعي تمكين الشباب الجامعي من مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٨، العدد الرابع.

٢٢. حجازي، أحمد مجدي محمود (٢٠٠١): **الثقافة العربية في زمن العولمة**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٢٣. حسان، عبد الله حسان، وعمار، محمد (٢٠٠٢): **الفكر الإسلامي والنظام العالمي الجديد**، القاهرة، دار الوفاء.

٢٤. الحسن، بلال (٢٠٠٥): **ثقافة الاستسلام**، رياض الريس للكتب والنشر، الرياض.

٢٥. الحسين، إبراهيم (٢٠٠١): **اتجاهات طلبة الجامعة نحو مفهوم العولمة و انعكاساتها على الهوية الثقافية**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإنسانية.

٢٦. حسين، سمير (٢٠١٢): **الثقافة العربية في مواجهة تيارات العولمة الإعلامية وتكنولوجيا الاتصال**. ندوة (مفترق القرن.. الثقافة العربية بين الاستشراق والاستغراب)، الكويت.

٢٧. الحفيان، فيصل (٢٠٠٤): **اللغة والهوية.. إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات**، مجلة التسامح، العدد٥، سلطنة عمان.

٢٨. حلاق، راتب (١٩٩٧): **نحن والآخر.. دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

٢٩. حمزة، عبد اللطيف (د.ت): **الإعلام في صدر الإسلام**، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣٠. حوات، محمد علي (٢٠٠٢): **العرب والعولمة**، شجون الحاضر وغموض المستقبل، القاهرة، مكتبة مدبولي.

٣١. خشبة، سامي خشبة (٢٠٠٦): **مصطلحات الفكر الحديث**، الجزء الأول، سلسلة الفكر، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٣٢. خضر، محمد (١٩٨٧): **مطالعات في الإعلام**، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.

٣٣. خلف، بشير(٢٠١٠): التراث والهوية.. التماهي والتكامل، www.diwanalarab.com

٣٤. خليفة، عبد اللطيف محمد (٢٠٠٣): **دراسة في سيكولوجيا الاغتراب**، دار غريب، القاهرة.

٣٥. الخميس، السيد سلامة (١٩٩٣): **الإعداد الثقافي للمعلم وشكل الهوية الثقافية في أقطار الخليج العربية**، مجلة التربية المعاصرة، العدد ٢٤، السنة التاسعة، ديسمبر.

٣٦. الرقب، صالح حسين (٢٠٠٨): **العولمة الثقافية آثارها وأساليب مواجهتها، في كتاب (العولمة وانعكاساتها على العالم الإسلامي في المجالين الثقافي والاقتصادي)**، عمان، الأردن.

٣٧. الزيود، محمد صايل نصر الله (٢٠٠٨): **تأثير العولمة على الثقافة العربية**، كلية العلوم التربوية، الجامعة الأردنية – عمان- الأردن.

٣٨. سالم، محمد (١٤٢٥هـ) : **النظم التربوية العربية تتفاعل مع العولمة ولكن مظهرياً**. مجلة المعرفة، عدد ١٠٩، الرياض.

٣٩. سري، إجلال محمد (١٩٩٣): **التغريب الثقافي والتغريب اللغوي لدى عينة جامعية مصرية**، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد (١٧).

٤٠. سعد الدين، محمد منير (٢٠٠٩): **الهجمة الإعلامية على اللغة العربية**، المركز العلمي والتنموي للبحوث والدراسات، بيروت.

٤١. السنوسي، صالح (٢٠٠٠): **العرب من الحداثة إلى العولمة**، دار المستقبل العربي، القاهرة.

٤٢. السيد، محمود (٢٠٠٩): **اللغة والهوية**، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق.

٤٣. الشرقاوي، موسى علي (٢٠٠٤): **الهوية الثقافية لطلاب كليات التربية في ضوء التحديات المعاصرة**، مجلة كلية التربية بجامعة الزقازيق، العدد ٤٧.

٤٤. شومان، محمد (١٩٩٨): **عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية**، ندوة (العولمة وقضايا الهوية الثقافية)، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

٤٥. الشيبني، محمد (٢٠٠٠): **أصول التربية الاجتماعية والثقافية والفلسفية**، دار الفكر العربي، القاهرة.

٤٦. الصراف، قاسم (٢٠٠٢): **مقومات وقيم الهوية الثقافية لدى طلبة المرحلة الثانوية بدولة الكويت، قطاع البحوث التربوية والمناهج**، وزارة التربية، الكويت.

٤٧. صيام، شحاتة (٢٠٠٢): **الشباب والهوية الثقافية**، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد ١٠٨، أبريل.

٤٨. الضبع، ثناء يوسف (٢٠٠٨): **تعزيز الهوية الثقافية لدى الطلاب الناشئين في ضوء تداعيات العولمة**، المنتدى العربي الخامس للتربية والتعليم، مؤسسة الفكر العربي، بيروت.

٤٩. عادل، شيهب (٢٠١٠): **الهوية الثقافية**. . إشكالية المفاهيم والعلاقة، www.aranthropos.com.

٥٠. عامر، علا مصطفى(٢٠٠٤): **الشباب. . متى يعود ثروة للأمة الإسلامية؟** جريدة الأهرام المصرية، العدد ٤٢٩٨٤، السنة ١٢٩، الجمعة ١٣ أغسطس.

٥١. عبد الجبار، حسين (٢٠٠٨): **اتجاهات الإعلام الحديث و المعاصر**، دار أسامة، عمان، الأردن.

٥٢. عبد الرحمن، عواطف (١٩٩٤): **التبعة الإعلامية**، سلسلة عالم الفكر، الكويت.

٥٣. عبد الرحمن، محمد شريف محمد (٢٠٠٦): الهوية الثقافية لطلاب الجامعات المصرية الخاصة في ظل العولمة، **رسالة دكتوراه غير منشورة**، كلية التربية، جامعة الأزهر.

٥٤. عبد الغني، عبد المقصود (١٩٩٩): **عالمية الإسلام والعولمة ضمن المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية**، الإسلام في عصر العولمة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، من ٣ : ٤ مايو.

٥٥. عبد المعطي، عبد الباسط (٢٠٠١): **العولمة وأدوار الأسرة في التعليم ورقة رؤيا**، وحدة البحوث والدراسات السكانية، القاهرة، في الفترة من ٢١ – ٢٢ فبراير.

٥٦. عبود، عبد الغنى، وعمار، حامد (٢٠٠٢): **التربية والتعددية الثقافية في الألفية الثالثة**، دار الفكر العربي، القاهرة.

٥٧. العتيبي، بدر والضبع، ثناء وإبراهيم، عبد الحميد (٢٠٠٨): **العولمة الثقافية وأثرها على هوية الشباب السعودي وقيمهم وسبل المحافظة عليها**، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية.

٥٨. عثمان، السعيد محمود السعيد (٢٠٠٣): **تطوير الجامعي في مصر في ضوء بعض التحديات المعاصرة**، مجلة، كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد ١١٨، يونيه.

٥٩. عجوة، علي، وآخرون (١٩٨٩): **مقدمة في وسائل الاتصال** ، ط ١، مكتبة مصباح ، جدة ، السعودية.

٦٠. علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٥): **الهوية والتعليم**، عالم الكتب، القاهرة.

٦١. علي، نبيل (٢٠٠١): **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، عدد ٢٦٥، عالم المعرفة، الكويت.

٦٢. عليان، جمال (٢٠٠٥): **الحفاظ على التراث الثقافي**، نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته، عالم المعرفة، العدد ٢٣٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، والكويت.

٦٣. فتح الله، سناء (٢٠٠٤): **تفكيك المصطلح..الثقافة**، جريدة الأخبار المصرية، الاثنين ٨ مارس.

٦٤. فيدرستون، مايك(٢٠٠٠): **ثقافة العولمة (القومية والعولمة والحداثة)** ترجمة عبد الوهاب علوي، المجلس الأعلى للثقافة.

٦٥. القاسم، خالد (٢٠٠٧): **العولمة وأثرها على الهوية**، جامعة الملك سعود، الرياض.

٦٦. الكَفَوي، أيوب بن موسى (١٩٩٥): الكليات (**معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**)، تحقيق د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦٧. كنعان، أحمد (٢٠٠٨): **الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإنسانية.

٦٨. ليلة، علي (٢٠٠٩): **تأثيرات العولمة على الخصوصية الثقافية والهوية الوطنية**، مركز الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، جامعة الكويت.

٦٩. ماتلار، أرمان و ميشال (٢٠٠٥). **تاريخ نظريات الاتصال**، ترجمة نصر الدين لعياضي، والصادق رابح، المنظمة العربية للترجمة، لبنان.

٧٠. المبارك، مازن (٢٠٠٩): **العربية هوية ونسب**، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد ٨٥، الجزء ٢.

٧١. مجاهد، محمد إبراهيم عطوة (٢٠٠١): **مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها**، مستقبل التربية العربية، مجلد ٧، العدد ٢٢، أكتوبر.

٧٢. محمد، سيد محمد (١٩٩٤): **الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة.

٧٣. محمد، عبد اللطيف محمود (٢٠٠١): **التربية وجدليات ثقافة المشاركة**، دراسة في الأصول الثقافية للعقل التربوي، في مؤتمر التربية وتنمية ثقافة المشاركة وسلوكياتها في الوطن العربي، المؤتمر العلمي السنوي التاسع، القاهرة، جامعة حلوان، ٢ : ٣ مايو.

٧٤. محمود، يوسف محمود (٢٠٠١): **التربية الإسلامية ومواجهة التحديات الثقافية في عصر العولمة**، مجلة التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد (٩٧)، فبراير.

٧٥. المخلافي، عبد السلام عبده قاسم (٢٠٠٦): تقويم منهج الثقافة الإسلامية لطلاب الجامعات اليمنية في ضوء حاجاتهم ومتطلباتهم عصر العولمة، **رسالة دكتوراه غير منشورة.**

٧٦. مراد، بركات (٢٠٠٧): **العولمة والصورة**. .تعزيز الهوية واستلابها، مؤتمر جامعة فيلادلفيا الدولي الثاني عشر، ثقافة الصورة (الصورة في الإعلام والفنون)، الأردن.

٧٧. مصطفى، فاطمة الزهراء سالم محمود (٢٠٠٧): مفهوم الهوية الثقافية وتداعياته فى الفكر التربوي المصري المعاصر "دراسة نقدية"، **رسالة دكتوراه غير منشورة**، كلية التربية، جامعة عين شمس.

٧٨. ملي، أسعد (٢٠١٠): **التداعيات الإقصائية المتصاعدة لعولمة الإعلام وأثرها على الهوية الثقافية**، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٢٦، العددان الثالث والرابع.

٧٩. المنتدى العربي الخامس **للتربية والتعليم**، مؤسسة الفكر العربي، بيروت.

٨٠. مهنا، محمد نصر (٢٠٠٩): **في تنظير الإعلام.. الفضائيات العربية**، والعولمة الإعلامية، والمعلوماتية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

٨١. الموسوعة الفلسفية العربية (١٩٩٥): **معهد الإنماء العربي**، بيروت.

٨٢. ميتر، ولفجانج (١٩٩٢): **التربية التعددية**، مجلة مستقبليات، مطبوعات اليونسكو، مجلد ٢٢، ع١.

٨٣. النشار، مصطفى (٢٠٠٣): **ما بعد العولمة**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٤. النعيمي، محمد عبد العال، و البياتي، عبد الجبار، و خليفة، غازي (٢٠٠٩): **طرق ومناهج البحث العلمي**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان.

٨٥. وطفة، علي (٢٠٠٢): **الهوية في زمن الانترنيت والمعلوماتية**، جريدة الأسبوع الأدبي، دمشق، العدد ٧٩٨، ٩ مارس.

٨٦. وطفة، علي (٢٠٠٩): من التراث إلى الموروث الشعبي.. ت**حديات الهوية التراثية في عصر العولمة**، مجلة ثقافات، العددان(٢٥-٢٦) أغسطس – أكتوبر، البحرين.

٨٧. وطفة، علي (٢٠١٢ أ): **العربية والحداثة في الوطن العربي**، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت

٨٨. وطفة، علي (٢٠١٢ب): **أصول التربية**، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت.

٨٩. وطفة، علي (٢٠١٣): **تحديات الهوية الوطنية ولشعور بالانتماء الوطني لدى عينة من طلال جامعة الكويت**، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، الكويت.

٩٠. يس، السيد (١٩٩٥): أوراق ثقافية، جريدة الأهرام المصرية، القاهرة، ٤ أغسطس.

المراجع الأجنبية

91. Felisa,T (2004). **Human Rights and Values Education**. J. Communication Education.Vol,45.No, 6.pp.166-182.

92. Lie, Joe (2001). **Claims to Belonging and Difference Cultural Citizenship and Identity Construction in School**, The University of Wisconsin – Madison.

93. Reimers, J.(2010). **Citizenship, Identity and Education Examining The Public Purposes of Schools in an Age of Globalization Education** ,Vol, 6 , No,4.pp,37-55.

94. Bryan, Michael T.: (2004) An Examination of Navajo Cultural Identity and its Relationship to Academic Achievement.(**Ph. D)**, Dissertation Abstracts International, Vol. 65 – 01, Section A, P. 0051.

95. Chen, Hsuan-JEN : (2004)Toward A Conceptual Framework of Asian American Cultural Identity, Societal Power Relations and Curriculum, **(Ph. D),** Dissertation Abstracts International, Vol. 65 – 04, Section A, 2004, P. 1230.

96. Meacham, Sarach Suttner : (2004)Constructing Agency out of Language Contact, Evidentially in Japanese High School English Lessons and the Production Oysocio-Cultural Identity, **(Ph. D),** Dissertation Abstracts International, Vol. 65 – 08, Section A, 2004, P. 3042.